الشفاعة عند أهل السنة

والرد على المخالفين فيها

إعداد

الدكتور ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع

الأستاذ المشارك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٧هـ

دار أطلس

للنشر والتوزيع

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الناشر

دار أطلس للنشر والتوزيع

الرياض ١١٣٦٢ - ص ب: ١٦٢ - ت: ٤٢٦٦١٠٤ - ٤٢٦٦٩٦٣

الرياض - المملكة العربية السعودية - ف: ٤٢٥٧٩٠٦

www.dar-atlas.com : الموقع الالكتروني

info@dar-atlas.com : البريد الالكتروني

الشفاعة عند أهل السنة

والرد على المخالفين فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدّمـة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فبتوفيق الله تعالى وقع اختياري في الكتابة عن موضوع الشفاعة وما يتعلق به، وجمع ما تفرق من مسائله وترتيبها على ضوء مذهب أهل السنة والجماعة.

وبعد تأمل معالم هذا الموضوع ارتضيت تسميته (الشفاعة عند أهل السنة والرد على المخالفين فيها).

وأما أسباب الكتابة في هذا الموضوع فأهمها ما يأتي:

١- خلو المكتبة الإسلامية من الكتابة المستقلة في هذا الموضوع، التي تبين خفاياه وتجمع أطراف مسائله(١)، فلعل هذا البحث يسهم في أن يكون مرجعاً للقراء والباحثين من طلبة العلم في هذا الموضوع.

٢- أهمية الموضوع، فهو أحد أمور اليوم الآخر، الذي هو ركن من أركان الإيمان كما هو معلوم، ولهذا فإن المحققين من علماء المسلمين يشيرون إليه عند تأليفهم في العقيدة.

---

(١) لم أقف في ذلك إلا على كتاب الشفاعة لأبي عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي حفظه الله، إلا أن اهتمامه بهذا الموضوع يكاد يختص بالناحية الحديثية فقط، كما أنه لم يتعرض لمناقشة المخالفين فى الشفاعة.

٣- أن الشفاعة موضوع شريف، حيث إن المؤمن يهفو إلى أن يكون من أهل الشفاعة.

٤- الوقوع في الخطأ نظرياً وعملياً من قبل بعض الطوائف الإسلامية إزاء أمر الشفاعة ما بين مفرِّط ومفْرِط، فلابد من إيضاح الحق في هذه المسألة.

٥- أن هذا العمل من باب نشر مذهب أهل السنة والجماعة بين الناس وتجليته، مع الرد على المخالفين لهم وإبطال شبههم ونقض حججهم، نصرة للحق وذوداً عن حياض العقيدة الصحيحة، عقيدة أهل السنة والجماعة، وهم من سار على نهج الرسول ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم، ثم من بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة.

ولاشك أن سبيل النجاة هو اتباع منهج السلف الصالح علماً وعملاً، الذين تمسكوا بالكتاب والسنة ونهلوا من معينهما، واجتمعوا على الحق، فرضي الله تعالى عنهم جميعاً.

وما دام أن منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الصحيح فلا يجوز إذن العدول عنه إلى غيره من المذاهب المحدثة الأخرى والمعتقدات الباطلة.

ولا خيار للمؤمن في هذا، كما قال تبارك وتعالى ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** ﴾[1].

١- سورة الأنعام (١٥٣).

وكما قال رسول الله ﷺ : «**إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة**»(١) .

هذا وقد اشتمل مخطط هذا البحث – بعد هذه المقدمة– على تمهيد وأربعة فصول، وخاتمة، ثم الفهارس.

وتفصيل ذلك كما يأتي :

التمهيد : ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : معنى الشفاعة .

المبحث الثاني : بيان الشفاعة في أمور الدنيا .

الفصل الأول : في إثبات الشفاعة والأدلة على ذلك .

ويتضمن ما يأتي :

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة .

ثالثاً : الإجماع .

---

(١) جزء من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، أخرجه أبو داود في سننه ٥ / ١٤ كتاب السنن، باب لزوم السنة، واللفظ له، وأخرجه الترمذي في سننه ٥ / ٤٤ كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه ابن ماجه في سننه ١ / ١٥ المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، والدرامي في سننه ١ / ٤٤ المقدمة، باب اتباع السنة، والإمام أحمد في مسنده ٤ /١٢٧، والحاكم في المستدرك ١ /٩٧، كتاب العلم.

الفصل الثاني: أنواع الشفاعة.

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: أنواع شفاعة الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: الشفعاء غير الرسول ﷺ.

الفصل الثالث: شروط الشفاعة وأسباب حصولها:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شروط الشفاعة.

المبحث الثاني: أسباب الحصول على الشفاعة.

المبحث الثالث: أحكام الاستشفاع بالرسول ﷺ.

الفصل الرابع: الشفاعة عند المخالفين لأهل السنة والرد عليهم.

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الخوارج والمعتزلة.

ويتضمن ما يأتي:

أولاً: مذهبم في الشفاعة.

ثانياً: شبههم النقلية والرد عليها.

ثالثاً: شبههم العقلية والرد عليها.

المبحث الثاني: القبوريون ونحوهم.

ويتضمن ما يأتي:

أولاً: مذهبهم في الشفاعة.

ثانياً: شبهتهم والرد عليها.

الخاتمة.

الفهارس: وتتضمن فهارس للآيات، والأحاديث، والمصادر والمراجع، والموضوعات.

أما عن المنهج الذي سلكته في كتابة هذا البحث فيمكن إجماله فيما يأتي:

١- اعتمدت في مباحث إثبات الشفاعة وبيان أنواعها وشروطها وسائر أحكامها على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، مستنداً في توجيهها على أقوال أئمة هذه الأمة وعلمائها قديماً وحديثاً.

٢- لم أستوعب جميع النصوص الواردة في القرآن والسنة عند الاستدلال لمسائل البحث خشية الإطالة، وإنما اقتصرت على نماذج منها مما رأيته كافياً.

٣- عند الاستدلال بالأحاديث الشريفة لا أورد منها إلا ما صح من سنة رسول الله ﷺ على ضوء أحكام أئمة الحديث، وقد نبهت في ثنايا البحث على بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة المتعلقة بموضوع الشفاعة عندما يقتضي الأمر ذلك.

٤- أخرجت الأحاديث والآثار الواردة في البحث من مراجعها، وإذا كان الحديث مُخرّجاً في الصحيحين أو في أحدهما اقتصرت على ذلك، وإلا خرجته من كتب الأحاديث الأخرى، أو من غيرها من

الكتب المعتمدة، مع نقل حكم العلماء على الحديث إن وجد.

٥- لم أترجم للأعلام حرصاً على عدم إثقال البحث بالحواشي، ولأن أغلبهم من المشهورين.

٦- حرصت على توثيق أقوال المخالفين لأهل السنة من مصادرهم وكتبهم ولا سيما المعتزلة لوفرة كتبهم، بخلاف الخوارج مثلاً فمصادرهم قليلة.

هذه مقدمة موجزة عن هذا البحث الذي قد بذلت فيه شيئاً من جهدي وفرغت له جزءاً من وقتي، مع علمي أن هذا جهد المقل، وأن الإنسان مهما حرص فهو مجبول على النقص والسهو والتقصير، فأسأل الله تعالى أن يعفو عني، وأن يغفر لي زلتي، وأن يأجرني على اجتهادي إنه على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير.

وبما أن الناقد بصير، فرحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي، والمؤمن مرآة أخيه، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين.

التمهيد

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: معنى الشفاعة

المبحث الثاني: بيان الشفاعة في أمور الدنيا.

المبحث الأول
معنى الشفاعة

أولاً: الشفاعة في اللغة العربية:

قال ابن فارس رحمه الله: «الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، والشَّفع خلاف الوتر»[١] أ.هـ.

تقول: كان وتراً فشفَعتُه شفعاً[٢] وشفع الوَتْر من العدد شفْعاً: صيّره زوجاً[٣].

ويقال أيضاً: ناقة شَفوع، وهي التي تجمع بين مَحلبَين في حلبة واحدة[٤].

وجاء في لسان العرب: شفع لي يشفع شفاعة وتشفّع: طلب.

ومعنى استشفعه طلب منه الشفاعة، أي قال له كن لي شافعاً.

والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره.

والشافع: الطالب لغيره فيشفع به إلى المطلوب.

يقال: تشفّعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه، واسم الطالب: شفيع.

والشفيع: الشافع، والجمع شفعاء[٥].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٠١.

(٢) الصحاح للجوهري ٣/ ١٢٣٨.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٨/ ١٨٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٢٠١، الصحاح ٣/ ١٢٣٨.

(٥) لسان العرب ٨/ ١٨٤ بتصرف.

وجاء في كتاب النهاية لابن الأثير رحمه الله:

« يقال شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع. والمشفِّع: الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته »[١].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله في المفردات عند قول الله تعالى ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾[٢] أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً له أو شفيعاً في فعل الخير والشر، فعاونه وقوّاه، وشاركه في نفعه وضرّه.

وذكر أن « الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه » ثم قال: « وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى »[٣].

ويقول السفاريني في توجيه ذلك: « فكأنّ الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له »[٤].

ونستخلص مما تقدم أن أصل هذه الكلمة (الشفاعة) يدل على ضم الشيئين ومقارنتهما، وأنها مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر.

وأن الشافع هو صاحب الشفاعة التي يطلبها لغيره –وهو المشفوع له– ويسمى شفيعاً، وإن قبلت شفاعته فهو مشفَّع.

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢ / ٤٨٥ .

(٢) سورة النساء (٨٥).

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٦٣ .

(٤) انظر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للسفاريني ٢ / ٢٠٤ .

وأن المشفوع إليه هو من تطلب منه الشفاعة، فإن قبلها فهو مشفِّع.

وأن الشفاعة إذن: الانضمام إلى آخر من أجل نصرته.

ثانياً: الشفاعة في الاصطلاح:

لقد عرّف ابن الأثير رحمه الله الشفاعة بقوله: «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم»[١].

وقيل في تعريفها: هي سؤال الخير للغير[٢].

وإذا تأملنا هذين التعريفين وجدنا أن الأول يحصر طلب الشفاعة بدرء المفاسد، وأن الثاني يحصره بجلب المصالح.

والحقيقة أن طلب الشفاعة لا يختص بواحد منهما، بل يتعلق بأحدهما تارة، وبالآخر تارة أخرى.

ولهذا عرفها بعضهم بهذا التعريف: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[٣].

وهذا تعريف جيد حيث إنه يشمل الأمرين معاً.

ويطلق هذا التعريف على الشفاعة سواءً كانت في أمور الدنيا أو الآخرة.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ / ٤٨٥.

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢ / ٢٠٤.

(٣) شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص١٢٨، وانظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد ص٦٨٨.

المبحث الثاني
بيان الشفاعة في أمور الدنيا

المراد بهذه الشفاعة التوسط لدى أصحاب الجاه والسلطان ونحوهم من أصحاب الحقوق، والسعي إليهم لقضاء حوائج الآخرين بإعطائهم حقوقهم وحاجاتهم، أو درء مظلمة عنهم، ونحو ذلك.

وهذه الشفاعة على نوعين: مستحب محمود ومحرم مذموم.

قال الإمام النووي رحمه الله في بيان ذلك: تستحب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما أم إلى أحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم، أو إسقاط تعزير، أو في تخليص عطاء لمحتاج، أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل، أو إبطال حق، ونحو ذلك فهي حرام(١).

وقال في موضع آخر: «اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاة الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها مالم تكن شفاعة في حد، أو شفاعة في أمرٍ لا يجوز تركه؛ كالشفاعة إلى ناظر على طفل أو مجنون أو واقف، أو نحو ذلك في ترك بعض الحقوق التي في ولايته، فهذه كلها شفاعة محرمة تحرم على الشافع، ويحرم على المشفوع إليه قبولها، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها»(٢).

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ١٦ /١٧٧، ١٧٨ بتصرف يسير.

(٢) الأذكار للنووي ص٥٠٨.

فالشفاعة لدى الآخرين من أجل تخليص الحقوق أو درء المظالم، أو نحو ذلك من حاجات الناس المباحة سعي مشكور وعمل مبرور.

بخلاف الشفاعة في إبطال الحقوق، أو إقرار الباطل، أو تعطيل حد فجهد مذموم وعمل مردود.

وقد دلت النصوص الشرعية على ما تقدم، فقد قال الله تعالى ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ، وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾[١].

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: «قوله: ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ أي من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك ﴿ **وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا** ﴾ أي يكون عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته... وقال مجاهد بن جبير: نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض»[٢].

وصاحب الشفاعة الحسنة يثاب عليها حتى ولو لم تقبل شفاعته، فقد بذل الشافع السبب، وهو ما يستطيعه.

وقد روى ابن جرير الطبري عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: «من يشفع شفاعة حسنة كان له أجرها وإن لم يُشفَّع؛ لأن الله يقول ﴿ **مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا** ﴾ ولم يقل: يُشفَّع»[٣].

---

(١) سورة النساء (٨٥).

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٥٣٢.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥ / ١٨٦.

ومن الأدلة من السنة ما جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة قال: «**اشفعوا تُوجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء**»(١).

وما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمّتهم المرأة المخزومية التي سرقت؛ فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ، ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» ثم قام فخطب فقال: «**يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»(٢).

وفي هذا الحديث دلالة على منع الشفاعة في الحدود إذا بلغت ولي الأمر، ولهذا ترجم الإمام البخاري رحمه الله لهذا الحديث بقوله: «باب كراهية الشفاعة في الحدود إذا رفع إلى السلطان».

ويؤيد ذلك ما ورد في بعض طرق الحديث(٣).

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله عن ابن عبدالبر رحمه الله أنه قال: لا

---

(١) صحيح البخاري ٢/١٨ كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، صحيح مسلم ٤/٢٠٢٦ كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح البخاري ٧/١٦ كتا ب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، صحيح مسلم ٣/١٣١٥ كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، واللفظ للبخاري.

(٣) أورد هذه الطرق الحافظ ابن حجر. انظر فتح الباري ١٢/٩٥.

أعلم خلافاً أن الشفاعة في ذوي الذنوب حسنة جميلة مالم تبلغ السلطان، وأن على السلطان أن يقيمها إذا بلغته، وأما الإمام مالك رحمه الله فقد فرّق بين من عُرف بأذى الناس ومن لم يُعرف؛ فقال: لا يُشفع للأول مطلقاً، سواء بلغ الإمام أم لا، وأما من لم يعرف بذلك فلا بأس أن يُشفع له ما لم يبلغ الإمام(٣).

تلك نبذة سريعة لتوضيح الشفاعة المتعلقة بأمور الدنيا تتميماً للفائدة، وإلا فالمقصود الكلام عن الشفاعة المتعلقة بأمور الآخرة، والله الموفق والمعين.

---

(١) المرجع السابق ١٢/ ٩٥.



الفصل الأول
في إثبات الشفاعة
والأدلة على ذلك

ويتضمن ما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: السنة.

ثالثاً: الإجماع.



الفصل الأول
في إثبات الشفاعة والأدلة على ذلك

لقد تضافرت الأدلة على إثبات الشفاعة يوم القيامة بأنواعها، فقد دل على ذلك الكتاب والسنة، وأجمع على إثباتها السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

ويمكن بيان تلك الأدلة بالتفصيل كما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم:

ورد لفظ الشفاعة، وما تصرف منه في القرآن الكريم ستا وعشرين مرة، ومعظم الآيات الواردة في ذلك تتعلق بأمر الشفاعة في الآخرة، وذلك من حيث التأكيد على شروطها، ونفيها عن غير مستحقيها، ونحو ذلك.

فمن الآيات الدالة على عدم تحقق الشفاعة إلا بشروطها - على سبيل المثال- في سورة البقرة قول الله تعالى ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾[1]

وفي سورة الأنبياء قوله تعالى ﴿**وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ**﴾[2]

وفي سورة يونس قوله تعالى ﴿**مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ**﴾[3]

وفي سورة طه قوله تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**﴾[4].

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥).

(٢) سورة الأنبياء (٢٨).

(٣) سورة يونس (٣).

(٤) سورة طه (١٠٩).

وفي سورة النجم قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾(١).

وسيأتي الكلام مفصلاً عن شروط الشفاعة في موضعه بإذن الله تعالى.

ومن الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها - وهم الكفار - قول الله تعالى عن الكفار في سورة الأنعام ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ ﴾(٢)

وفي سورة غافر قول الله تعالى ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(٣)

وفي سورة المدثر قوله تعالى ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾(٤).

ونفي الشفاعة عن الكفار في هذه الآيات ونحوها يدل بمفهومه على انتفاع المؤمنين بها.

وهذا يماثل الاستدلال على إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بقول الله تعالى عن الكفار ﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾(٥) فلما أن حُجب هؤلاء الكفار في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه المؤمنين يرونه في الرضا، كما قرر ذلك أئمة أهل السنة والجماعة(٦).

هذا وإن ما أوردته من آيات الشفاعة هو مجرد نماذج فقط، وستأتي

---

(١) سورة النجم (٢٦).
(٢) سورة الأنعام (٥١).
(٣) سورة غافر (١٨).
(٤) سورة المدثر (٤٨).
(٥) سورة المطففين (١٥).
(٦) انظر مثلاً كتاب حادي الأرواح لابن القيم ص٢٣٧.

الإشارة إلى آيات أخرى في ثنايا البحث بإذن الله.

ومن أراد المزيد من معرفة دلالة القرآن الكريم على الشفاعة فليرجع إلى ما دوّنه المفسرون حول آيات الشفاعة.

ثانياً السنّة:

لقد تكرر الشفاعة كثيراً في الأحاديث النبوية الشريفة، وإذا كان القرآن الكريم قد أكد على الشروط والضوابط للشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة فإن السنة قد شرحت أنواع الشفاعة وصِفتها، والشفعاء والمشفوع لهم.

وأحاديث الشفاعة صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة، وهي كثيرة جداً بحيث بلغت حد التواتر.

قال الحافظ ابن أبي عاصم رحمه الله: «والأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضله به من الشفاعة وتشفيعه إياه فيما يشفع فيه - أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقةً ما حَوت على ما اقتصصنا»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أحاديث الشفاعة كثيرة متواترة، منها في الصحيحين أحاديث متعددة، وفي السنن والمسانيد مما يكثر عدده»[2].

وقال الشيخ محمد بن أحمد السفاريني رحمه الله: «شفاعة

(١) السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٣٩٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٣١٤.

النبي ﷺ نوع من السمعيات وردت بها الآثار حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوي»[١].

وقال عن ثبوت الشفاعة لغير النبي ﷺ: يجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ من الشفعاء يشفعون لثبوت الأخبار بذلك وترادف الآثار على ذلك[٢].

وسأذكر الآن نماذج من أحاديث الشفاعة الثابتة عن رسول الله ﷺ.
جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[٣].

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتجعل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة...**»[٤].

قال أهل العلم: «معناه دعوة أُعلم أنها تُستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا يُعد، لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضُمنت لهم إجابة دعوة فيما شاؤه يدعونه بها على يقين من الإجابة»[٥].

---

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٢٠٨.
(٢) المرجع السابق ٢/٢٠٩ بتصرف يسير.
(٣) صحيح البخاري ٧/١٤٥ كتاب الدعوات، الباب الأول، صحيح مسلم ١/١٩٠ كتاب الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، واللفظ للبخاري.
(٤) صحيح مسلم ١/١٨٩.
(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١/٢٢٣.

وقال الإمام ابن خزيمة رحمه الله: أخَّر نبينا محمدٌ ﷺ دعوته ليجعلها شفاعة لأمته، لفضل شفقته ورحمته ورأفته بأمته فجزى الله نبينا ﷺ أفضل ما جزى رسولاً عمن أرسل إليهم، وبعثه المقام المحمود الذي وعده ليشفع لأمته، فإن ربنا عز وجل غير مخلف وعده، ومنجز نبيه ﷺ ما أخر من مسألته في الدنيا وقت شفاعته لأمته يوم القيامة(١).

وجاء في الصحيحين أيضاً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي**» وذكر منها «**وأعطيت الشفاعة**»(٢).

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة... وأول شافع وأول مشفَّع**»(٣).

وجاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، وهو حديث طويل: «.. **فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون..**»(٤).

وجاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ٢/ ٦٢٢.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٨٦ كتاب التيمم، الباب الأول، صحيح مسلم ١/ ٣٧١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، الحديث الثالث.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ١٧٨٢ كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٨٢ كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾، صحيح مسلم ١/ ١٧٠ كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، واللفظ لمسلم.

رسول الله ﷺ : «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة، فجئ بهم ضبائر ضبائر**[1]**، فبُثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**»[2].

تلك نماذج فقط من أحاديث الرسول ﷺ في الشفاعة، منعاً للإطالة أو التكرار، وسيأتي إيراد أحاديث أخرى ضمن الفصول القادمة بإذن الله تعالى.

ثالثاً: الإجماع:

لقد أجمع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد في النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

فقد أثبتها الصحابة رضي الله عنهم الذين رووا أحاديث الشفاعة، ثم من بعدهم التابعون رحمهم الله، ثم أتباعهم إلى عصرنا الحاضر إلى ما شاء الله، ولم ينكر الشفاعة أو بعض أنواعها إلا المبتدعة.

---

(١) أي جماعات في تفرقة، واحدتها ضبارة، وكل مجتمع: ضبارة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣ / ٧١.

(٢) صحيح مسلم ١ / ١٧٢ كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار.

وقد حكى الإجماع على إثبات الشفاعة جملة من الأئمة والمصنفين. وسأذكر الآن نماذج مما وقفت عليه في هذا الشأن.

قال أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله تعالى: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار.. فكان من مذهبهم.. الشفاعة حق»[١].

ومما ذكره أبو الحسن الأشعري رحمه الله من الأصول التي أجمع عليها السلف قوله: «أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، وعلى أنه يُخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً..»[٢] إلخ.

ونقل الإمام النووي رحمه الله عن القاضي عياض رحمه الله أنه قال عن الشفاعة: «أجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما شفاعته ﷺ لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع..»[٤].

وقال الشيخ محمد السفاريني رحمه الله عند كلامه عن الشفاعة: «انعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة»[٥].

---

(١) عقيدة أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي وأبي زرعة عبيد الله بن عبدالكريم الرازي ص١٩٩ جمع أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد.

(٢) رسالة أصول أهل السنة والجماعة المسماة برسالة الثغر ص٩٠ تحقيق د/محمد السيد الجليند.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٣٥.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٤٨.

(٥) لوامع الأنوار البهية ٢/٢٠٨.

وقال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله عند كلامه عن الشفاعة في أهل الكبائر: «فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة، كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه»[1].

وقال الشيخ محمد صدّيق حسن بعد كلام مضى عن الشفاعة: «والحاصل أن الأمة قد أجمعت على جواز الشفاعة ووقوعها.. يوم القيامة»[2].

ومن الشواهد أيضاً على إجماع أهل السنة على إثبات الشفاعة يوم القيامة أن المصنفين من أئمة أهل السنة وعلمائهم الذين ألّفوا كتباً أو رسائل في العقيدة قد نصوا على الشفاعة وأثبتوها، في مؤلفاتهم وأنها حق، خلافاً للمبتدعة.

وإليك طرفاً من أسماء الأئمة والعلماء الذين نصوا على إثبات الشفاعة في مؤلفاتهم:

١ - الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد[3].

٢ - الإمام أبو حعفر الطحاوي في عقيدته[4].

٣ - الإمام أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة[5].

٤ - الإمام ابن أبي زيد القيرواني في مقدمته في العقيدة[6].

---

(١) معارج القبول ٢/ ٢٥٦.

(٢) الدين الخالص ٢/ ٢٢.

(٣) ٢/ ٥٨٨.

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٢٨٢.

(٥) ص٢٥٨.

(٦) انظر شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة ص ٣٣١ إعداد الأمين الحاج محمد أحمد.

٥ - الإمام أبو بكر الإسماعيلي في رسالته: اعتقاد أئمة الحديث[١].

٦ - الإمام ابن بطة في كتابه: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة[٢].

٧ - الإمام أبو القاسم اللالكائي في كتابه: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[٣].

٨ - الإمام أبو عثمان الصابوني في رسالته: عقيدة السلف وأصحاب الحديث[٤].

٩ - الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد[٥].

١٠ - الإمام ابن حزم في كتابه: الدرة فيما يجب اعتقاده[٦].

١١ - الإمام أبو القاسم الأصبهاني في كتابه: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة[٧].

١٢ - الإمام عبد الغني المقدسي في عقيدته[٨].

١٣ - شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته: العقيدة الواسطية[٩].

١٤ - الإمام ابن القيم في كتابه: مدارج السالكين[١٠].

---

(١) ص٦٨.
(٢) ص٣٠٣.
(٣) ٦/١٠٨٩.
(٤) ص٢٤٥.
(٥) ص١٩١.
(٦) ص٢٩٤.
(٧) ص١/٤٥٩.
(٨) ص٩٢.
(٩) ص٢١٥.
(١٠) ١/٣٤٠.

١٥ - الشيخ محم السفاريني في كتابه لوامع الأنوار البهية[١].

١٦ - الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد[٢].

وأخيراً فإن فيما سبق عرضه من الأدلة، وفيما سيأتي بيانه أيضاً إن شاء الله من خلال ثنايا البحث، إن في ذلك كفاية للمؤمن طالب الحق على إثبات الشفاعة يوم القيامة بأنواعها وشروطها، وأن هذا مذهب أهل السنة والجماعة واعتقادهم، فيجب إذن على كل مؤمن الإيمان بذلك واعتقاده، ولا يجوز التكذيب أو التشكيك.

روى الإمام أبو القاسم اللالكائي رحمه الله في كتابه الكبير (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) بعد أن ساق جملة من أدلة الشفاعة، روى عن حنبل رحمه الله أنه قال: (قلت لأبي عبدالله - يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله - ما يُروى عن النبي ﷺ في الشفاعة، فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر، وكل ما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن بها ونقر، قلت له: وقوم يخرجون من النار؟ فقال: نعم، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ودفعناه رددنا على الله أمره، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا آتَاكُمْ الرَّسولُ فخُذُوه وَمَا نَهاكُم عَنه فانتهوا**﴾[٣] قلت: والشفاعة؟ قال: كم حديث يُروى عن النبي ﷺ في الشفاعة والحوض[٤]، فهؤلاء يكذبون بها ويتكلون، وهو قول صنف من الخوارج، وإن الله تعالى لا يُخرج من النار أحداً بعد إذ أدخله، والحمد لله الذي عدل عنا ما ابتلاهم به»[٥].

---

(١) ٢/ ٢٠٤.

(٢) انظر كتاب التوحيد له ص ٥١ ضمن القسم الأول (العقيدة والآداب الإسلامية).

(٣) سورة الحشر (٢٣).

(٤) لعله يشير رحمه الله إلى كثرة الأحاديث المروية في الشفاعة والحوض.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦/ ١١١١.

وقد عقد الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله في كتابه القيم (الشريعة) باباً بعنوان (باب وجوب الإيمان بالشفاعة) قال في آخره بعد أن سرد عدة نصوص في إثبات الشفاعة: «بطلت حجة من كذب بالشفاعة، الويل له إن لم يتب» ثم روى بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «من كذَّب بالشفاعة فليس له فيها نصيب»[1].

ولعل هذا من باب: الجزاء من جنس العمل، والله تعالى أعلم.

---

(١) الشريعة للآجري ص ٣٣٧، وأخرجه أيضاً أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦/ ١١١٠، ١١١١.
وقد ذكر الحافظ ابن حجر سعيد بن منصور قد أخرجه بسند صحيح عن أنس (فتح الباري ١١/ ٤٢٦).



الفصل الثاني
أنواع الشفاعة

ويشتمل على تمهيد ومبحثين:

المبحث الأول: أنواع شفاعة الرسول ﷺ.

المبحث الثاني: الشفعاء غير الرسول ﷺ.

تمهيد:

تقدم في الفصل الماضي الاستدلال على ثبوت الشفاعة يوم القيامة، وعند استقراء أحاديث الرسول ﷺ في ذلك، ومطالعة كلام بعض العلماء عن الشفاعة يتبين أن الشفاعة تتنوع من حيث الشفعاء، ومن حيث نوع الشفاعة، فأحياناً يكون الشفيع نبينا محمداً ﷺ، وأحياناً يكون غيره.

ولهذا سيقتصر المبحث الأول على بيان أنواع شفاعة الرسول ﷺ، التي منها ما يكون خاصاً به، ومنها ما يكون عاماً له ولغيره.

وأما المبحث الثاني فيتعلق ببيان أنواع الشفعاء عدا النبي ﷺ.

المبحث الأول
أنواع شفاعة الرسول ﷺ

١- الشفاعة العظمى:

هي الشفاعة الأولى الخاصة بالنبي محمد ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام من أجل الشفاعة عند الله تعالى ليقضي بين خلقه، ويريحهم ربهم من مقامهم ذلك، وما هم فيه من شدة وكرب، فيتدافع الشفاعة بعد آدم أولو العزم عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيشفع عند ربه لأهل الموقف.

وهذه الشفاعة أعظم الشفاعات، ولهذا تسمى الشفاعة العظمى، فهي شفاعة عامة لجميع أهل الموقف، على اختلاف أديانهم.

وهذه الشفاعة هي المقام المحمود -على قول أكثر العلماء[١]- الذي وعد الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ في قوله تعالى ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾[٢].

---

(١) انظر تفصيل ما قيل حول المقام المحمود الكتب الآتية: التوحيد لابن خزيمة ٢/ ٧٢٤ فما بعدها، تفسير ابن جرير الطبري ١٦/ ١٤٣ فما بعدها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي ٦/ ١١١٢ فما بعدها، تفسير القرطبي ١٠/ ٣٠٩ فما بعدها، فتح الباري ٨/ ٤٠٠، ١١/ ٤٢٦ فما بعدها.

(٢) سورة الإسراء (٧٩).

ومما يدل على الشفاعة العظمى ما أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم**» وقال: «**إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثو بآدم ثم بموسى، ثم بمحمد ﷺ. فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم**»[١].

وأخرج البخاري أيضاً عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً**[٢]**، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**»[٣].

ومما يستدل به على الشفاعة العظمى ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أُتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم، فرُفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس[٤] منها نهسة فقال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مِم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد**

---

(١) صحيح البخاري ٢ / ١٣٠ كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً.

(٢) أي جماعات، والجثا جمع جُثوة وهو الشئ المجموع، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١ / ٢٣٩.

(٣) صحيح البخاري ٥ / ٢٢٨ كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب قوله ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾.

(٤) النهس: أخذ اللحم بأطراف الأسنان (النهاية لابن الأثير ٥ / ١٣٦).

واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس(١) لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم ﷺ، فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته(٢)، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضّلك الله

---

(١) أي المؤمنون منهم، كما جاء ذلك صريحاً في مسند أبي عوانة ١/١٧٨ باب في صفة الشفاعة.

(٢) ورد ذكر هذه الكذبات في صحيح البخاري ٤/١١٢، وانظر فتح الباري لابن حجر ٦/٣٩١-٣٩٤.

برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله -ولم يذكر ذنباً- نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تُشفع، فأرفع رأسي فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين(١) من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى»(٢).

(١) جاء في القاموس المحيط: المصراعان بابان منصوبان ينضمان جميعاً مدخلهما في الوسط منهما، انظر ترتيب القاموس المحيط ٢ / ٨١٥ بترتيب الزاوي.

(٢) صحيح البخاري ٥ / ٢٢٥ كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل، باب (ذرية من حملنا مع نوح)، صحيح مسلم، ١ / ١٨٤ كتاب الإيمان، واللفظ لمسلم.

وجه الاستدلال بهذا الحديث:

لقد استدل الإمام ابن خزيمة بهذا الحديث على ثبوت الشفاعة العظمى، ثم قال رحمه الله: «هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق، فعندها يأمر الله عز وجل أن يدخل من لا حساب عليه من أمته الجنة من الباب الأيمن»(١).

واستدل بهذا الحديث أيضاً أبو عبدالله القرطبي رحمه الله، ثم قال مبيناً وجه الاستدلال به على هذه الشفاعة: «وقوله «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه» يدل على أنه شُفِّع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف، فإنه لما أُمر بإدخال من لا حساب عليه من أمته فقد شُرِع في حساب من عليه حساب من أمته وغيرهم»(٢).

وهذا توجيه جيد من قبل القرطبي.

وعلى أي حال فليس في آخر هذا الحديث تصريح بحصول مقتضى الشفاعة العظمى التي طُلبت في صدر الحديث.

ومع هذا فإن العلماء حينما يذكرون هذه الشفاعة يستشهدون بهذا الحديث ونحوه من الأحاديث الأخرى التي يرد في آخرها الشفاعة في إخراج عصاة الأمة من النار(٣).

ولذلك فإن الإمام ابن كثير رحمه الله لما ساق حديث أبي هريرة السابق

---

(١) التوحيد لابن خزيمة ١/٥٩٣.
(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٤٥.
(٣) سيأتي ذكر شئ من هذه الأحاديث عند الكلام عن الشفاعة في أهل الكبائر.

مع بعض طرقه في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم) أورد الإشكال الآتي :
« والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى، في أن يأتي الرب لفصل القضاء، كما ورد هذا في حديث الصور[1] -كما تقدم- وهو المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث؛ أن الناس إنما يستغيثون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء طمعاً في أن يفصل بين الناس، ويستريحوا من مقامهم ذلك، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى المحشر فإنما يذكرون الشفاعة في عصاة الأمة وإخراجهم من النار » .

ثم أجاب ابن كثير عن هذا الإشكال بقوله : « وكان مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذي أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، يذكرون هذا القدر من الحديث، الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث » .

ثم قال : « وقد جاء التصريح بذلك في حديث الصور -كما تقدم- أن الناس يذهبون إلى آدم ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم وموسى وعيسى، ثم يأتون رسول الله ﷺ فيذهب فيسجد لله تحت العرش في مكان يقال له (الفحص) فيقول الله : ما شأنك؟ وهو أعلم، قال رسول الله ﷺ : **«فأقول : يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم ، فيقول الله : (قد شفعتك) قال : فأرفع رأسي فأقف مع الناس ، ثم ذكر انشقاق السموات ،**

---

(١) سيأتي الكلام عن هذا الحديث قريباً .

وتنزل الملائكة والغمام، ثم مجئ الرب تعالى لفصل القضاء[١]..»[٢].

وكذا فإن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله عند شرحه حديث أنس ابن مالك[٣] الذي تضمن آخره الشفاعة في إخراج العصاة من النار، ذكر قول الداودي: «كان راوي هذا الحديث ركب شيئاً على غير أصله، وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب الموقف، وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار، يعني وذلك إنما يكون بعد التحول من الموقف، والمرور على الصراط، وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار، ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في الإخراج» ثم عقب ابن حجر على ذلك بقوله: «وهو إشكال قوي».

ثم نقل بعضاً من إجابات العلماء عن هذا الإشكال.

ومنها أنه جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث «فيأتون محمداً، فيقوم ويؤذن له[٤]» أي في الشفاعة، وورد في بعضها الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المنافقين من المؤمنين، ثم حلول الشفاعة بعد وضع

---

(١) جزء من الحديث المعروف بحديث الصور المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث طويل جداً، وما ذكر هو الشاهد منه لما يتعلق بأمر الشفاعة العظمى، وسبق أن أورده ابن كثير كاملاً في كتابه هذا: النهاية في الفتن والملاحم ١ / ٢٧٠-٢٧٨، وأورده أيضاً في تفسيره (٢ / ١٤٧-١٥٠) عن أبي القاسم الطبراني في كتابه (المطولات) وذكر في آخره أنه قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة، وقد اختلف فيه.. ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة.. إلخ.

وقد أخرج هذا الحديث أيضاً ابن جرير الطبري في تفسيره ٢ / ٣٣٠، والبيهقي في البعث والنشور ص٣٢٥، وغيرهما.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ١ / ٣٧١، ٣٧٢.

(٣) سيأتي إيراد هذا الحديث وتخريجه ص٤٦، ٤٨.

(٤) سيأتي قريباً ذكر هذه الرواية، وذلك عند الكلام عن النوع الثاني من أنواع الشفاعة.

الصراط والمرور عليه فكان الأمر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والإراحة من كرب الموقف، وأنه بهذا تجتمع متون الحديث وتترتب معانيها.

قال ابن حجر بعد ذلك: فكأن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر. إلى أن قال: فظهر أنه ﷺ أول ما يشفع ليقضى بين الخلق، وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك، وقد وقع ذلك صريحاً في حديث ابن عمر[١] اختصر في سياقه الحديث الذي ساقه أنس وأبو هريرة مطولاً[٢].

وبهذا ينتهي الكلام عما يتعلق بالشفاعة العظمى.

٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها:

جاء في صحيح مسلم رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال النبي ﷺ: «**أنا أول شفيع في الجنة، لم يُصدق نبي من الأنبياء ما صُدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد**»[٣].

وعن أنس بن مالك أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[٤].

---

(١) تقدم ذكره قريباً.

(٢) انظر فتح الباري لابن حجر ١١/ ٤٣٧، ٤٣٨.

(٣) صحيح مسلم ١/ ١٨٨ كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة».

(٤) المرجع السابق ١/ ١٨٨.

وعن أبي هريرة وأبي حذيفة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ : «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تُزلف**[١] **لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم! لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراءَ، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له..**»[٢] الحديث.

فهذه الأحاديث ونحوها تدل على أن النبي ﷺ أول الشفعاء لأهل الجنة في دخولها.

ومن هذا الوجه فإن هذا النوع من الشفاعة خاص بالنبي ﷺ.

قال ابن تيمية رحمه الله عن هذه الشفاعة والتي قبلها: «وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ»[٣].

وكما أن نبينا ﷺ أول من يستفتح باب الجنة فيفتح له، كما تقدم؛ فإن أول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ، فقد جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة..**»[٤].

---

(١) أي تُقرب، قال تعالى ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ أي قُربت.
(٢) صحيح مسلم ١/١٨٦.
(٣) مجموع الفتاوى ٣/١٤٧.
(٤) صحيح مسلم ٢/٥٨٥ كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

وهذا من تفضيل الله تبارك وتعالى وتكريمه لهذه الأمة، أمة محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولين والآخرين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٣- الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه:

وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب:

ودليلها ما جاء في الصحيحين عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «نعم، هو في ضحضاح[١] من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**»[٣].

وقد ظهر لنا من خلال ما سبق أن سبب شفاعة الرسول ﷺ لعمه في تخفيف العذاب هو دفاعه عن الرسول ﷺ ونصرته له، حتى ورد أنه أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة.

---

(١) قال ابن الأثير: الضحضاح في الأصل: مارقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار (النهاية ٣/ ٧٥).

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٤٧ كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، صحيح مسلم ١/ ١٩٥ كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب، واللفظ لمسلم.

(٣) المرجعان السابقان.

فقد جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذاباً أبو طالب، وهو منتعل بنعلين، يغلي منهما دماغه**»(١).

وينبغي أن نعلم هنا أن هذه الشفاعة التي نفعت أبا طالب، مع كونه كافراً -شفاعة تخفيف فقط، لا شفاعة إخراج من النار(٢).

وقد اختلف في كيفية طلب هذه الشفاعة: هل هي بلسان المقال أو بلسان الحال؟ بمعنى أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي ﷺ والذب عنه جوزي على ذلك بالتخفيف، فأُطلق على ذلك شفاعة لكونها بسببه(٣).

٤- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة:

ودليل هذا النوع -كما ذكر ابن كثير(٥)- ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث عمه أبا عامر رضي الله عنه على جيش إلى أوطاس، فرمي أبو عامر بسهم في ركبته فقال لأبي موسى: يا ابن أخي انطلق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي، قال: واستعملني أبو عامر على الناس، ومكث يسيراً ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ١/١٩٦ كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً.

(٢) سيأتي لهذه المسألة مزيد بيان ص: ٨١، ٨٢.

(٣) انظر فتح الباري ١١/٤٣١.

(٤) انظر النهاية في الفتن والملاحم ٢/٢٠٦، وقد استدل ابن القيم بذلك لكنه لم يجزم، انظر تهذيب سنن أبي داود لابن القيم المطبوع مع المختصر للمنذري ومعالم السنن للخطابي ٧/١٣٤.

دخلت عليه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلت له: قال قل له: يستغفر لي، فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم رفع يديه، ثم قال: «**اللهم اغفر لعبيد أبي عامر**» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس**» فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مُدخلاً كريماً**»[١].

وما جاء في صحيح مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دعا لأبي سلمة لما توفي فقال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفُه في عقبه في الغابرين**[٢]**، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه**»[٣].

وقد قيل إن هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ[٤]، وقيل إنها ليست خاصة به ﷺ ولكنه هو المقدم فيها[٥].

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ١٠١ كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، صحيح مسلم ٤/ ١٩٤٣ كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين.

(٢) أي في الباقين من ذريته.

(٣) صحيح مسلم ٢/ ٦٣٤ كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤/ ٣٩٩، وانظر لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٢١١.

(٥) انظر أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة للشيخ حافظ الحكمي ص١١٦.

٥- الشفاعة في دخول الجنة بلا حساب:

يستدل لهذا النوع بما جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ: «**عُرضت علي الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي! قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**» فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «**اللهم اجعله منهم**» ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[١].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يدخل الجنة زُمرة**[٢] **هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر فقام عكاشة...**[٣] الحديث.

وفي صحيح مسلم عن عمران[٤] رضي الله عنه قال قال نبي الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب**» قالوا: ومن هم يا رسول

---

(١) صحيح البخاري ٧ / ١٩٩ كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، صحيح مسلم ١ / ١٩٩ كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٢) الزمرة: الجماعة من الناس (الصحاح لإسماعيل الجوهري ٢ / ٦٧١).

(٣) صحيح البخاري ٧ / ١٩٩، صحيح مسلم ١ / ١٩٧.

(٤) هو الصحابي عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه.

الله؟ قال: «**هم الذين لا يكتوون...**»[١] الحديث.

وجاء في بعض السنن عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وعدني ربي عز وجل أن يُدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً، لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل**»[٢].

وقد تقدم لنا أيضاً حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الشفاعة العظمى الذي جاء في آخره فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة...).

٦- الشفاعة في أهل الكبائر:

المراد بأهل الكبائر: العصاة من أهل التوحيد، الذين دخلوا النار بذنوبهم، فيشفع فيهم الرسول ﷺ وغيره لإخراجهم من النار بعد دخولها.

ومن الأدلة على ثبوت هذا النوع من الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة، فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت إليه يسأله لنا عن حديث الشفاعة، فإذا هو في قصره، فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا، فأذن لنا -وهو قاعد على

---

(١) صحيح مسلم ١/١٩٨.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٢٦ كتاب صفة القيامة أبواب الشفاعة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤٣٣ كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ، والإمام أحمد في مسنده ٥/٢٦٨، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: إسناده صحيح. انظر مشكاة المصابيح للتبريزي ٣/١٥٤٢هـ[٢].

فراشه- فقلنا لثابت: لا تسأله عن شئ أول من حديث الشفاعة، فقال: يا أبا حمزة هؤلاء إخوانك من أهل البصرة جاءوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم، فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى، فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان[1]، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك، وسل تُعط، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول يارب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل**» فلما خرجنا من عند أنس، قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن -وهو متوار في منزل أبي

---

(١) ذكر الإمام ابن خزيمة أن المعنى بعض من كان في قلبه قدر ذلك الوزن من الإيمان لأن غير النبي ﷺ يشفع أيضاً. انظر كتاب التوحيد ٢ /٧٢٨، ٧٢٩.

خليفة[١]- فحدثنا بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه، فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع، فقال: هيه، فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني -وهو جميع[٢]- منذ عشرين سنة، فلا أدري أنسي أم كره أن تتكلوا، فقلنا: يا أبا سعيد فحدثنا، فضحك وقال: خُلق الإنسان عجولاً، ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به، قال: «**ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تُشفع، فأقول: يا رب أئذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله**»[٣].

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال: فيأتون آدم**» إلى أن قال ﷺ «**فيأتوني، فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تُشفع، فأرفع**

---

(١) أي أن الحسن البصري مستخف في منزل أبي خليفة خوفاً من الحجاج بن يوسف، وأبو خليفة هو حجاج بن عتاب البصري. (فتح الباري ١٣ / ٤٧٦، شرح النووي لصحيح مسلم ٣ / ٦٤).

(٢) أي مجتمع العقل، وهو إشارة إلى أنه كان حينئذ لم يدخل في الكبر الذي هو مظنة تفرق الذهن وحدوث اختلاط الحفظ (فتح الباري ١٣ / ٤٧٦).

(٣) صحيح البخاري ٨ / ٢٠٢ كتاب التوحيد، باب شفاعة الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، صحيح مسلم ١ / ١٨٢ كتاب الإيمان، واللفظ للبخاري.

رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله (في الثالثة أو الرابعة) حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن»[1] أي وجب عليه الخلود.

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يُسمون الجهنميين**»[2].

وجاء في بعض السنن والمسانيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[3].

---

(١) صحيح البخاري ٧ / ٢٠٣ كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، صحيح مسلم ١ / ١٨٠ كتاب الإيمان.

(٢) صحيح البخاري ٧ / ٢٠٣ كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٥ / ١٠٦ كتاب السنة، باب في الشفاعة، والترمذي في سننه ٤ / ٦٢٥ كتاب صفة القيامة (باب ١١ منه) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والإمام أحمد في مسنده ٣ / ٢١٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢ / ٦٥١، وابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٣٩٩ باب في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر، والآجري في كتاب الشريعة ص٣٣٨، والحاكم في المستدرك ١ / ٦٩، والبيهقي في كتاب الاعتقاد ص٢٠٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٧ / ٢٦١، وابن حبان في صحيحه ٨ / ١٣٢ بترتيب ابن بلبان رقم الحديث (٦٤٣٤)، والصابوني في عقيدة السلف ص٢٣٨، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦ / ١١٠١.

وقد قال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح على شرط الشيخين (تفسير ابن كثير ١ / ٤٨٨). وقال ناصر الدين الألباني: الحديث صحيح بطرقه، انظر (كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢ / ٣٩٩ بتعليق الألباني). ولمزيد معرفة تخريج الحديث، والحكم عليه انظر كتاب الشفاعة لأبي عبدالرحمن الوادعي ص٨٥١ فما بعد ها.

وفي الباب أيضاً عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما[١]، وعبدالله بن عمر رضي الله عنهما[٢].

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**خيرت بين الشفاعة، أو يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين؟ لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين**»[٣].

وعن أبي موسى الأشعري أيضاً بنحوه[٤].

ولما تقدم من الأحاديث وغيرها فقد اتفق على ثبوت هذه الشفاعة أهل السنة والجماعة، من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أئمة المسلمين، ولم ينكرها إلا أهل البدع[٥]، كالخوارج والمعتزلة[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤ / ٦٢٥ وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، وابن ماجه في سننه ٢ / ١٤٤١ كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢ / ٦٥٤، وابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٢٩٩، والآجري في كتاب الشريعة ص٣٣٨، والطيالسي في مسنده ص٢٣٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣ / ٢٠١، وابن حبان في صحيحه ٨ / ١٣١ (رقم الحديث ٦٤٣٣).

(٢) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١ / ١٨.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٧٥، بدون (للمؤمنين) و (للمذنبين)، وأخرجه أيضاً الصابوني في عقيدة السلف ص٢٦٠، والبيهقي في كتاب الاعتقاد ص٢٠٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦ / ١١٠٤. وقال المنذري: رواه أحمد والطبراني، وإسناده جيد (الترغيب والترهيب ٤ / ٤٤٨). وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير النعمان بن قراد، وهو ثقة (مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢ / ١٤٤١ كتاب الزهد، باب الشفاعة) وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٢ / ٣٢٠) وأخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦ / ١١٠٥.

(٥) انظر كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام اللالكائي ٦ / ١٠٨٩ فما بعدها، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ١٤٨.

(٦) سيأتي إيضاح ذلك مفصلاً إن شاء الله في الفصل الرابع.

وهذه الشفاعة لا تختص بالرسول ﷺ، بل هي عامة له ﷺ ولغيره من عباد الله تعالى[١]، لكن الرسول ﷺ المقدم فيها، فلا يشفع أحد من خلق الله تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول الله ﷺ، فإنه يشفع في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى[٢]، وقد مر معنا في بعض الأحاديث السابقة ما يفيد ذلك.

مسألة: هل تشمل هذه الشفاعة من استحق النار ألا يدخلها؟:

إذا تأملنا الأحاديث السابقة الواردة في شأن الشفاعة في أهل الكبائر وجدنا أنها على قسمين: منها ما لا يدل إلا على الشفاعة في إخراج أصحاب الذنوب من النار بعد دخولها، ومنها ما هو عام في الشفاعة في أهل الكبائر دون تخصيص، كحديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) ونحوه.

ولعل من أثبت الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها أخذ بعموم هذه الأحاديث.

وقد استدل الإمام ابن كثير رحمه الله في كتابه (النهاية في الفتن والملاحم) على حصول هذه الشفاعة بحديثين[٣] نقلهما عن أبي بكر ابن أبي الدنيا الذي أخرجهما في كتابه (الأهوال):

الحديث الأول عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**ينصب للأنبياء يوم القيامة منابر من ذهب، فيجلسون عليها،**

---

(١) راجع المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٢) تفسير ابن كثير ٣ / ٥٦، معارج القبول للحكمي ٢ / ٢٦١، القيامة الكبرى لعمر الأشقر ص١٩٠.

(٣) هذان الحديثان ضعيفان، كما سيأتي بيانه.

قال: ويبقى منبري لا أجلس عليه، قائماً بين يدي الله عز وجل، مُنتصباً بأمتي، مخافة أن يبعث بي إلى الجنة ويبقي أمتي بعدي، فأقول: يارب أمتي، فيقول الله: يا محمد وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم، فيدعو بهم فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله تعالى، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، وما أزال أشفع حتى أُعطى صكاكاً برجال قد بُعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن جهنم ليقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك على أمتك من نقمة»(١).

والحديث الثاني عن المنهال بن عمرو أنه قال حدثني عبدالله بن الحارث أن نبي الله ﷺ قال: «**أَمرُّ بقوم من أمتي قد أُمر بهم إلى النار فيقولون: يا محمد ننشدك الشفاعة، قال: فآمر الملائكة أن يقفوا بهم، قال: فأنطلق وأستأذن على الرب عز وجل، فيؤذن لي، فأسجد وأقول: رب قوم من أمتي قد أمرت بهم إلى النار، قال: فيقول: انطلق فأخرج من شاء الله أن تُخرج، ثم ينادي الباقون: يا محمد ننشدك الشفاعة، فأرجع إلى الرب فأستأذن، فيؤذن لي، فأسجد فيقول: ارفع رأسك سل تعط، واشفع**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٠ / ٣٨٥ وفي الأوسط (مجمع البحرين) ٨ / ١١٩، وبنحو هذا اللفظ أخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ٦٦ كتاب الإيمان، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد غير أن الشيخين لم يحتجا بمحمد بن ثابت البناني وهو قليل الحديث، يجمع حديثه، والحديث غريب في أخبار الشفاعة، ولم يخرجاه» وعقب الذهبي بقوله: «ضعفه -أي البناني- غير واحد، والحديث منكر».

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤ / ٤٤٦ وقال: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، والبيهقي في البعث، وليس في إسنادهما من تُرك» قلت: لم أجده في كتاب البعث المطبوع.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠ / ٣٨٠: «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه محمد بن ثابت، وهو ضعيف».

قلت: وفي إسناد ابن أبي الدنيا -كما ساقه ابن كثير- محمد بن ثابت أيضاً وهو ضعيف كما ذكره الهيثمي وغيره. انظر تهذيب التهذيب ٩ / ٨٢، وعليه فهذا الحديث ضعيف.

تُشفع، فأقوم فأثني على الله بثناء لم يثن عليه أحد، ثم أقول: قوم من أمتي قد أمر بهم إلى النار، فيقول: انطلق فأخرج منهم من قال لا إله إلا الله، فأقول: ومن كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، قال فيقول: يا محمد ليست تلك لك، تلك لي، قال: فأنطلق فأخرج من شاء الله أن أُخرج، قال: ويبقى قوم فيدخلون النار، فيعيرهم أهل النار، فيقولون: أنتم كنتم تعبدون الله ولا تشركون به، وقد أدخلكم النار، قال: فيحزنون لذلك، قال: فيبعث الله ملكاً بكف من ماء، فينضح بها في النار، فلا يبقى أحد من أهل لا إله إلا الله إلا وقعت في وجهه قطرة، قال: فيعرفون بها، ويغبطهم أهل النار، ثم يخرجون، فيدخلون الجنة، فيقال لهم: انطلقوا، فيضيفون الناس، فلو أن جميعهم نزلوا برجل واحد كان لهم عنده سعة، ويسمون المجردين»(١).

ثم قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا السياق يقتضي تعدد الشفاعة فيمن أمر بهم إلى النار ثلاث مرات ألا يدخلوها، ويكون معنى قوله: (فأخرج) أنقذ، بدليل قوله بعد ذلك: (ويبقى قوم فيدخلون النار، والله تعالى أعلم»(٢).

ولم أقف على أحاديث أخرى في هذه المسألة.

ومن نص على ثبوت هذا النوع من الشفاعة -أي الشفاعة فيمن استحق

---

(١) هذا الحديث ضعيف لإرساله، وفي إسناده إسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبي كريمة، قال عنه أبو بكر الجعابي: يحدث عن محمد بن سلمة بعجائب (تهذيب التهذيب ١/٣١٨، ٣١٩) وهو الراوي عنه في هذا الإسناد.

(٢) النهاية لابن كثير ٢/٢٠٤ - ٢٠٦.

النار من أهل الكبائر ألا يدخلها– الإمام النووي[١]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، والحافظ ابن حجر[٣]، والشيخ محمد السفاريني[٤]، رحمهم الله تعالى.

وممن توقف في هذا النوع الإمام ابن القيم حيث قال رحمه الله: «هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه»[٥].

ولعل التوقف في هذه المسألة –أعني مسألة شمول الشفاعة من استحق النار ألا يدخلها– وعدم الجزم بوقوع ذلك هو الأولى، وذلك لعدم ثبوت الأحاديث الصريحة فيها التي قد استدل بها من يثبتها، ولابد من دليل صحيح لإثبات هذا النوع من أنواع الشفاعة، أما الأحاديث الصحيحة في ذلك فهي عامة، والله تعالى أعلم.

مسألة أخرى: هل يشفع النبي محمد ﷺ فيمن تساوت حسناته وسيئاته؟

ذكر بعض العلماء أن من أنواع شفاعة الرسول ﷺ شفاعته فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة.

وقد أثبت هذا النوع الإمام ابن كثير في كتابه (النهاية)[٦] ولكنه لم يذكر دليلاً. وأثبته أيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح

(١) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٣٥، ٥٨.
(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/١٤٧.
(٣) انظر فتح الباري ١١/٤٢٨.
(٤) انظر لوامع الأنوار البهية ٢/٢١١.
(٥) انظر تهذيب السنن لابن القيم ٧/١٣٤.
(٦) انظر النهاية ٢/٢٠٤.

الباري[١]) حيث قال بعدما ساق أنواع الشفاعة: «وظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة» ثم قال: «ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ»[٢].

ولكن ابن حجر رحمه الله لم يتكلم عن إسناد هذا الحديث الموقوف. وقد قال عنه الإمام أبو بكر الهيثمي: فيه وضاع[٣].

وعليه فهو حديث متروك لا يعتمد عليه.

وأما أصحاب الأعراف فأرجح الأقوال فيهم أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فتجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصّرت بهم سيئاتهم عن الجنة، فيقومون مدة على الأعراف، وهو سور بين الجنة والنار، ثم يؤمر بهم إلى الجنة[٤].

وقد جاء في سورة الأعراف شئ من أخبارهم في قوله تعالى:

---

(١) انظر فتح الباري ١١ / ٤٢٨.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١ / ١٨٩.
وقال أبو بكر الهيثمي بعدما ساق هذا الحديث عن ابن عباس (رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار عنه، وفيه موسى بن عبدالرحمن الصنعاني، وهو وضاع) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٠ / ٣٧٨.
وقد قال الذهبي في كتاب (ميزان الاعتدال ٤ / ٢١١) موسى بن عبدالرحمن الثقفي الصنعاني: ليس بثقة، فإن ابن حبان قال فيه: دجال، وضع على ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس كتاباً في التفسير، وقال ابن عدي: منكر الحديث.

(٣) مجمع الزوائد ١٠ / ٣٧٨.

(٤) انظر كتاب البعث والنشور للبيهقي ص٨١-٨٧، تفسير القرطبي ٧ / ٢١١، تفسير ابن كثير ٢ / ٢١٧، فتح الباري ١١ / ٤٢٨.

﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾[١] الآيات.

وفيما عدا الحديث الذي أشار إليه ابن حجر آنفاً، وتقدم الكلام عنه فلم أقف على حديث يثبت هذه الشفاعة للرسول ﷺ، ولا لغيره، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الأعراف (٤٦).

المبحث الثاني
الشفعاء غير الرسول ﷺ

تقدم في المبحث السابق الكلام عن أنواع شفاعة الرسول ﷺ، وحيث إن الله تعالى يأذن في الشفاعة يوم القيامة أيضاً لغيره ﷺ[١]، فإن هذا المبحث سيختص ببيان أنواع هؤلاء الشفعاء على ضوء الأدلة الشرعية، وذلك كما يلي:

أولاً: شفاعة الملائكة:

والدليل على هذه الشفاعة قول الله تعالى: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** ﴾[٢] ونحوها من الآيات.

والدليل من السنة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري الطويل مرفوعاً وفيه «**فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة... ولم يبق إلا أرحم الراحمين...**»[٣].

---

(١) ولهذا والله أعلم فإن آيات الشفاعة في القرآن الكريم قد ورد فيها (الشفعاء) ونحوه بصيغة الجمع بالمنطوق أو المفهوم كقوله تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ سورة المدثر (٤٨) وقوله ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ سورة البقرة (٢٥٥). من كتاب عقيدة المؤمن، لأبي بكر الجزائري ص١٣٥ بتصرف.

(٢) سورة النجم (٢٦).

(٣) تقدم تخريجه ص٢٧.

ثانياً: شفاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

ودليل هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق، وفيه «**فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون..**»(١).

ثالثاً: شفاعة المؤمنين:

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري السابق، وفيه «**حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتُحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً**» وكان أبو سعيد الخدري يقول: «إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن**

---

(١) تقدم تخريجه ص٢٧.

تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١] فيقول الله عز وجل: «**شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين..**»[٢].

ومما يمكن الاستدلال به أيضاً على هذه الشفاعة الأحاديث الآتية:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أمتي من يشفع للفئام**[٣]**، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة**[٤]**، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة**»[٥].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيّين ربيعة ومضر، أو مثل أحد الحيّين ربيعة ومضر..**»[٦].

وعن عبدالله بن أبي الجدعاء أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**» قالوا: يا رسول الله سواك؟ قال: «**سواي**»[٧].

---

(١) سورة النساء (٤٠).
(٢) تقدم تخريج طرف من هذا الحديث ص٢٧، واللفظ لمسلم.
(٣) الفئام: الجماعة الكثيرة (النهاية ٣/٤٠٦).
(٤) العصبة: بضم العين: ما بين العشرة إلى الأربعين. انظر ترتيب القاموس المحيط ٣/٢٣٦.
(٥) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٢٧ كتاب صفة القيامة، وقال حديث حسن، وأخرجه أيضاً الإمام أحمد في مسنده ٣/٢٠، ٦٣، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢/٦٣٦.
(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٥/٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٧، وقال المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد (الترغيب والترهيب ٤/٤٤٥).
(٧) أخرجه الترمذي في سننه ٤/٦٢٦ كتاب صفة القيامة، وقال حديث حسن صحيح غريب، وقال الألباني: وسنده صحيح (مشكاة المصابيح ٣/١٥٥٨)، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٤٤٢ كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، والإمام أحمد في مسنده ٣/٤٧١، والبيهقي في دلائل النبوة ٥/٣٧٨ وجاء فيه: كان الحسن يقول: إنه أويس القَرَني، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/٧٠، ٧١ وقال: هذا حديث صحيح ووافقه الذهبي.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة، والرجل للرجل**»(١).

فالمؤمنون يشفعون بوم القيامة، وكلما كان المؤمن أكثر تقى وإيماناً كان أحرى بالشفاعة لإخوانه المؤمنين، والعكس بالعكس.

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء ولا شفعاء يوم القيامة**»(٢).

رابعاً: شفاعة الشهداء:

من الأدلة على هذه الشفاعة ما جاء في بعض السنن عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال**» وفي آخر الحديث «**ويُشفَّع في سبعين إنساناً من أقاربه**»(٣).

وجاء في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته**»(٤).

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢/٧٤٥، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠/٣٨٢).

(٢) صحيح مسلم ٤/٢٠٠٦ كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٤/١٨٨ كتاب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/٩٣٦ كتاب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، والإمام أحمد في مسنده ٤/١٣١، والآحري في كتاب الشريعة ص٣٤٩.

(٤) سنن أبي داود ٣/٣٤ كتاب الجهاد، باب في الشهيد يشفع، وأخرج الحديث أيضاً أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة ص٣٥٠.

وفي سنن ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «**يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ، ثم الشهداء**»[١].

خامساً: شفاعة أولاد المؤمنين:

من الأدلة على ثبوت شفاعة الأولاد لآبائهم المؤمنين يوم القيامة ما جاء في صحيح الإمام مسلم عن أبي حسان قال : قلت لأبي هريرة : إنه قد مات لي ابنان، فما أنت محدّثي عن رسول الله ﷺ بحديث تطيِّب به أنفسنا، عن موتانا؟ قال : نعم «**صغارهم دعاميص**[٢] **الجنة ، يتلقى أحدهم أباه -أو قال أبويه- فيأخذ بثوبه -أو قال بيده- كما آخذ أنا بصنَفَة**[٣] **ثوبك هذا ، فلا يتناهى -أو قال فلا ينتهي- حتى يدخله الله وأباه الجنة**»[٤] وفي بعض السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ : «**ما من مسلمَين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغو الحنث إلا أدخله الله وإياهم بفضل رحمته الجنة ، وقال : يقال لهم ادخلوا الجنة ، قال : فيقولون : حتى يجئ أبوانا ، قال ثلاث مرات : فيقولون مثل ذلك ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم**»[٥].

---

(١) سنن ابن ماجه ٢ / ١٤٤٣ كتا ب الزهد، باب ذكر الشفاعة.
وقال البوصيري: «هذا إسناد ضعيف لضعف علاق بن أبي مسلم، رواه الزار في مسنده... وأبو يعلي الموصلي في مسنده الكبير» انظر مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٣ / ٣٢١.

(٢) الدعاميص: جمع دعموص، أي صغار أهلها، وأصل الدعموص: دويبة تكون في الماء لا تفارقه، أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها (شرح النووي لصحيح مسلم ١٦ / ١٨٢).

(٣) (صنفة ثوبك) أي طرفه. (المرجع السابق ١٦ / ١٨٢).

(٤) صحيح مسلم ٣ / ٢٠٢٩ كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٥١٠، والنسائي في سننه ٤ / ٢٥ كتاب الجنائز، باب من يتوفى له ثلاثة، واللفظ لأحمد.

سادساً: شفاعة القرآن:

مما يدل على شفاعة القرآن يوم القيامة ما جاء في صحيح مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرؤا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان**[١]**، أو كأنهما فِرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرؤا سورة البقرة، فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة**»[٢] أي السحرة.

وجاء في بعض السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: تبارك الذي بيده الملك**»[٣].

سابعاً: شفاعة الصيام:

مما يدل على شفاعة الصيام يوم القيامة ما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني**

---

(١) الغيابة: كل شئ أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (النهاية لابن الأثير ٣/٤٠٣).
(٢) صحيح مسلم ١/٥٥٣ كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.
(٣) أخرجه أبو داود في سننه ٢/١١٩ كتاب الصلاة، باب في عدد الآي، والترمذي في سننه ٥/١٦٤ كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، وقال الترمذي: حديث حسن، وابن ماجه في سننه ٢/١٢٤٤ كتاب الأدب، باب ثواب القرآن.

فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان»[١].

فعلى المؤمن اعتقاد شفاعة الشفعاء ممن دلت الأدلة الشرعية على شفاعته يوم القيامة، وأن الشفاعة لا تختص بالنبي ﷺ فقط.

قال السفاريني رحمه الله: «يجب أن يعتقد أن غير النبي ﷺ من سائر الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء، على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون، وبقدر جاههم ووجاهتهم يشفعون، لثبوت الأخبار بذلك، وترادف الآثار على ذلك، وهو أمر جائز غير مستحيل، فيجب تصديقه، والقول بموجبه، لثبوت الدليل»[٢].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١٧٤، والحاكم في المستدرك ١ / ٥٤٤ وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وقال المنذري: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله محتج بهم في الصحيح (الترغيب والترهيب ٢ / ٨٤) وقد رمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ٢ / ٥٢).
وصححه الألباني. انظر صحيح الترغيب والترهيب ١ / ٤١١.

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢٠٩.

الفصل الثالث
شروط الشفاعة وأسباب حصولها

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: شروط الشفاعة .

المبحث الثاني: أسباب الحصول على الشفاعة .

المبحث الثالث: أحكام الاستشفاع بالرسول ﷺ .



المبحث الأول

شروط الشفاعة

عند تأمل النصوص الشرعية يتبين أنه من أجل وقوع الشفاعة يوم لقيامة والانتفاع بها لابد من تحقق ثلاثة شروط هي كما يأتي:

١- إذن الله تعالى للشافع أن يشفع.

٢- رضاه تعالى عن المشفوع له.

٣- لا يرضى الله تعالى إلا عن أهل التوحيد.

وقد قرر علماء أهل السنة هذه الشروط وأوضحوها في كتبهم.

وقد سمى ابن القيم رحمه الله هذه الشروط أصولاً حيث قال: «**فهذه ثلاثة أصول.. لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله**»[١].

وإليك بيان تلك الشروط بالتفصيل.

أولاً: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع:

فلابد من إذن الله تعالى يوم القيامة لمن يشفع من الشفعاء.

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلا بِإِذنِه**﴾[٢]

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١ / ٣٤١.

(٢) سورة البقرة (٢٥٥).

وقوله تعالى: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِه ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِه مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿ ولا تَنْفَعُ الشَّفَاعَة عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَه ﴾[٣].

فالله تبارك وتعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وهو وحده سبحانه الذي يملك الشفاعة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا من دُون اللَّه شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقلُونَ * قُل لِّلَّه الشَّفَاعَةُ جَميعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْه تُرْجَعُونَ ﴾[٤].

فالأمر كله لله، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ قل إِنَّ الأَمْرَ كلَّهُ لله ﴾[٥] وقال لرسوله ﷺ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[٦].

« وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له بالشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه »[٧].

وقد تقدم في الفصل الماضي بيان أنواع الشفعاء، وأن ذلك يشمل الملائكة والأنبياء والمؤمنين، ممن يأذن الله تعالى لهم بالشفاعة، وكذلك فإن الصيام والقرآن يشفعان أيضاً.

---

(١) سورة يونس (٣).
(٢) سورة السجدة (٤).
(٣) سورة سبأ (٣).
(٤) سورة الزمر (٤٣، ٤٤).
(٥) سورة آل عمران (١٥٤).
(٦) سورة آل عمران (١٢٨).
(٧) معارج القبول للحكمي ٢ / ٢٥٠.

وأما ما عدا ذلك ممن ترجى شفاعتهم من قبل أتباعهم وعبادهم، كالأصنام، من أي صنف كانت، فلا شفاعة لها البتة.

ولهذا يقول الله تعالى عن يوم القيامة: ﴿ **يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً** ﴾(١).

جاء في تفسير الإمام البغوي رحمه الله: أي لا تنفع الشفاعة أحداً من الناس إلا من أذن الله له أن يشفع ورضي قوله، قال ابن عباس: يعني قال لا إله إلا الله، وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن(٢).

ويقول الله تعالى نافياً حصول النفع من معبودات المشركين به، ومن ذلك الشفاعة، لأنها لا تحصل إلا بإذن الله ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾(٣).

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً مدلول هذه الآية: «قد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها المشركون جميعاً، قطعاً يعلم من تأمله وعرفه: أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو ﴿ **كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ** ﴾(٤) فقال تعالى ﴿ **قُلِ ادْعُو الذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ اللَّهِ** ﴾ فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به

---

(١) سورة طه (١٠٩).

(٢) تفسير البغوي ٣ / ٢٣٢.

(٣) سورة سبأ (٢٢، ٢٣).

(٤) سورة العنكبوت ٤١.

من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده.

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه»[١].

ويقول الله تعالى أيضاً منكراً شفاعة الأصنام التي تعبد من دون الله تعالى ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[٢].

وأما قوله تعالى ﴿ **وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[٣] فإن الاستثناء هنا منقطع –على ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية– فلا يملك أحد من المعبودين من دون الله الشفاعة البتة، ثم استثنى الله تعالى ﴿ **إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ كأنه قيل: فإذا لم يملكوها هل يشفعون في أحد؟ فقال: نعم ﴿ **مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ وهذا يتناول الشافع والمشفوع له، فلا يشفع إلا من شهد بالحق وهم يعلمون.

---

(١) مدارج السالكين ١ /٣٤٣.

(٢) سورة يونس (١٨).

(٣) سورة الزخرف (٨٦).

فالملائكة والأنبياء والصالحون -وإن كانوا لا يملكون الشفاعة- لكن إذا أذن الرب لهم شفعوا، وهم لا يؤذن لهم إلا في الشفاعة للمؤمنين، الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، فيشهدون بالحق وهم يعلمون، لا يشفعون لمن قال هذه الكلمة تقليداً للآباء والشيوخ(١).

وقيل: الاستثناء متصل وأن المراد بقوله تعالى ﴿ **وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ** ﴾ عيسى وعزير والملائكة، الذين يعبدهم المشركون، فهم لا يملكون الشفاعة عند الله لأحد إلا من شهد بالحق على علم منه، فوحد الله وأطاعه.

وقال آخرون: «المراد ولا تملك الآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله الشفاعة إلا عيسى وعزير والملائكة، الذين يشهدون بالحق» فأقروا به، على علم منهم ويقين بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده بإذنه لهم بها(٢).

ثانياً: رضا الله تعالى عن المشفوع له:

بما أنه لابد من إذن الله تعالى للشافع أن يشفع -كما تقدم- فكذا لابد من رضي الله تعالى عن المشفوع له، فليس الإذن في الشفاعة للشفعاء مطلقاً.

يقول الله تعالى عن الشفعاء ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾(٣) ويقول أيضاً ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ** ﴾(٤).

---

(١) من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤ / ٤٠٩ بتصرف، وقد أطال رحمه الله في ترجيحه في هذه الآية، وناقش الأقوال الأخرى.

(٢) انظر تفسير الطبري (٢٥ / ١٠٤، ١٠٤.

(٣) سورة الأنبياء (٢٨).

(٤) سورة النجم (٢٦).

بل إن سيد الشفعاء نبينا محمداً ﷺ يقول عندما يأتيه الناس يوم القيامة طلباً للشفاعة -كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه المخرج في الصحيحين «**فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله، ثم يقال لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يسمع، واشفع تُشفع، فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حداً، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود..**»[١].

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾[٢] «**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[٣].

فلا يجوز الاتكال على نيل الشفاعة من الأقارب ونحوهم من الشفعاء. ومن أراد الشفاعة فعليه التأهل لها بالأعمال الصالحة التي ترضي الله تعالى، حتى يرضى الله تعالى عنه.

وما أجمل ما قاله أحدهم في هذا الشأن: «فمن زعم أنه من أولاد الأنبياء عليهم السلام، أو من نسل الأولياء، أو من أعقاب الأئمة، أو من

---

(١) تقدم تخريجه ص٥٤.

(٢) سورة الشعراء (٢١٤).

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٩٠ كتاب الوصايا، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب، صحيح مسلم ١/ ١٩٢ كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾، واللفظ لمسلم.

أخلاف الشهداء، أو من تلامذة الشيخ الفلاني والكبير الفلاني، وأنهم ينفعونهم في النجاة من عذاب الله في اليوم الآخر، ويشفعون له في الخلاص من الحساب والكتاب والعقاب، وأنه يُغفر له ذنبه، ويُعفى عنه زلاته لوجاهة هؤلاء الكرام، وقرابتهم نسلاً أو صهراً -فهو مغرور جاهل عن مدارك الشرع، محروم من فقه الأحكام، بل هو مشرك بالله تعالى في التصاريف في العالم، التي هي مختصة به سبحانه، لا يشاركه فيها أحد من العالمين، صالحهم وطالحهم، إلا أن يشاء الله رب العالمين شفاعة أحد لأحد، فيشفع بعد وجدان الرضا منه، والإذن منه تعالى، وذلك بيد الله، لا بيده وقدرته.

فأنى له التوكل على نفع القرابة بالأنبياء والأولياء والمشايخ والشهداء؟. نعم لو أردنا أن يُشفِّع الله لنا أحداً منهم ويجعله شفيعاً لنا؛ فلابد من أن نتأهل لذلك، ونجيء بأعمال صالحات يرضاها الله تعالى، مع الخوف والهيبة والرجاء، وأمل العفو من الله وحده، خالصاً مخلصاً له الدين ولا نشرك بعبادة ربنا شيئاً مما يأتي به جماعة المشركين»[١].

ثالثاً: لا يرضى الله تعالى إلا عن أهل التوحيد:

ليست الشفاعة يوم القيامة عامة لكل أحد مؤمناً كان أو كافراً، وإنما هي -على اختلاف أنواعها- خاصة بالمؤمنين الذي ماتوا على التوحيد، فالله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، وقد توعد الكفار بالخلود في النار يوم القيامة. ومن الأدلة على أن الشفاعة خاصة بأهل التوحيد الذين سلموا من الشرك ومما يناقض الإسلام، وأنه ليس للكفار والمشركين فيها نصيب ما جاء في صحيح

---

(١) من كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٢ / ٥١.

البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أوّلَ منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)**»[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً**»[٢].

وجاء في بعض السنن عن عوف بن مالك الأشجعي أنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، وإني اخترت الشفاعة**» فقلنا: يا رسول الله ننشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك، قال: «**فإنكم من أهل شفاعتي**»، قال: فلما أضبُّوا عليه قال: «**فإني أشهد من حضر أن شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً من أمتي**»[٣].

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٣ كتاب العلم، باب الحرص على الحديث.

(٢) تقدم تخريج أول الحديث ص٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه ٤/ ٦٢٧ كتاب صفة القيامة، باب ١٣ منه -وفي الحديث قصة- والإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٨، وأبو داود الطيالسي ص٩٩٨، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢/ ٦٤١، والآجري في كتاب الشريعة ص٣٤٢، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٣٨٩ وقال الألباني في تعليقه على هذا الكتاب: إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات على شرط الشيخين، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٦٧.

وقد أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٨-٣٧٠.

وفي رواية: قلنا يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: «**هي لكل مسلم**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً اقتصار الشفاعة على أهل التوحيد، بخلاف من أشرك بالله تعالى بأي وجه كان: «فالذي تنال به الشفاعة هي الشهادة بالحق، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، لا تنال بتولي غير الله، لا الملائكة ولا الأنبياء ولا الصالحين.

فمن والى أحداً من هؤلاء ودعاه، وحج إلى قبره أو موضعه، ونذر له وحلف به، وقرّب له القرابين ليشفع له؛ لم يغن ذلك عنه من الله شيئاً، وكان من أبعد الناس عن شفاعته وشفاعة غيره، فإن الشفاعة إنما تكون لأهل توحيد الله وإخلاص القلب والدين له، ومن تولى أحداً من دون الله فهو مشرك.

فهذا القول والعبادة الذي يقصد به المشركون الشفاعة يحرم عليهم الشفاعة، فالذين عبدوا الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين -ليشفعوا لهم- كانت عبادتهم إياهم وإشراكهم بربهم، الذي به طلبوا شفاعتهم: به حرموا شفاعتهم، وعوقبوا بنقيض قصدهم، لأنهم أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً.
وكثير من أهل الضلال يظن أن الشفاعة تُنال بهذه الأمور التي فيها شرك، أو هي شرك خالص، كما ظن ذلك المشركون الأولون، وكما يظنه النصارى، ومن ضل من المنتسبين إلى الإسلام، الذين يدعون غير الله، ويحجون إلى قبره

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢ / ١٤٤٤ كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢ /٦٣٨، والآجري في كتاب الشريعة ص٣٤٣، وابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٣٩٠ وقال الألباني في تعليقه على هذا الكتاب: إسناده صحيح لغيره، وأخرجه الحاكم في المستدرك ١ / ١٥ وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواته ثقات على شرطهما جميعاً وليس له علة، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ١٠ /٣٦٩، ٣٧٠.

أو مكانه، وينذرون له، ويحلفون به، ويظنون أنه بهذا يصير شفيعاً لهم، قال تعالى ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**[1] ﴾[2] إلخ.

وقد نص الله تعالى على عدم انتفاع الكفار بالشفاعة الحاصلة يوم القيامة، حيث قال سبحانه وتعالى عن الكفار ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[3]. وذلك بعد قوله تعالى ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ** ﴾[4].

وقال تعالى على لسان المشركين ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾[5]. فلا تنفعهم قرابة ولا شفاعة إذا ماتوا على الكفر، مهما كانت منزلة الشفيع.

جاء في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله « الشفاعة للكفار بالنجاة من النار والاستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم -ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهاً- فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ، ثم الخليل إبراهيم.

---

(١) سورة الإسراء (٥٦، ٥٧).
(٢) مجموع الفتاوى ١٤ / ٤١٢، ٤١٣.
(٣) سورة المدثر (٤٨).
(٤) سورة المدثر (٤٢-٤٧).
(٥) سورة الشعراء (١٠٠، ١٠١).

وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه واستغفر له، كما قال تعالى عنه ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾[1].

وقد كان ﷺ أراد أن يستغفر لأبي طالب اقتداءً بإبراهيم، وأراد بعض المسلمين أن يستغفر لبعض أقاربه، فأنزل الله تعالى ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾[2] ثم ذكر الله عذر إبراهيم فقال: ﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾[3].

وثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول له أبوه: فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم: يارب أنت وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله عز وجل: إني حرّمت الجنة على الكافرين، ثم يقال: انظر ما تحت رجليك، فينظر فإذا هو بذيخ[4] متلطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار**»[5].

---

(١) سورة إبراهيم (٤١).

(٢) سورة التوبة (١١٣).

(٣) سورة التوبة (١١٤، ١١٥).

(٤) الذيخ: ذكر الضباع، والأنثى ذيخة، وأراد بالتلطخ: التلطخ برجيعه أو بالطين (النهاية لابن الأثير ٢ / ١٧٤).

(٥) صحيح البخاري ٤ / ١١٠ كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾.

فهذا لما ماتِ مشركاً لم ينفعه استغفار إبراهيم مع عظم جاهه وقدره، وقد قال تعالى للمؤمنين ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[١].

فقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يتأسوا بإبراهيم ومن اتبعه إلا في قول إبراهيم لأبيه ﴿ **لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ** ﴾ فإن الله لا يغفر أن يشرك به.

وكذلك سيد الشفعاء محمد ﷺ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزورقبرها فأذن لي**»[٢] وفي رواية أن النبي ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، ثم قال: «**استأذنت ربي أن استغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[٣].

وثبت عن أنس في الصحيح أن رجلاً قال: يا رسول الله أين أبي؟

---

(١) سورة الممتحنة (٤، ٥).

(٢) صحيح مسلم ٢ / ٦٧١ كتاب الجنائز، باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه.

(٣) انظر المرجع السابق.

قال: «**في النار**» فلما قفّى دعاه فقال: «**إن أبي وأباك في النار**[١]»[٢] ا.هـ.

شبهة وجوابها:

قد يُعترض على ما سبق من تقرير عدم انتفاع الكفار بالشفاعة بأن النبي ﷺ قد شفع لعمه أبي طالب -كما تقدم-[٣] مع كونه كافراً.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بعدة أجوبة منها ما يأتي:

١- أن الشفاعة في أبي طالب شفاعة تخفيف فقط وليست شفاعة إخراج من النار، كما يحصل لعصاة الموحدين، الذين يُخرجون منها ويدخلون الجنة.

وهذا جواب قوي، وقد نص عليه القرطبي[٤] رحمه الله.

وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث ذكر رحمه الله أن الكفار يتفاضلون في الكفر، كما يتفاضل أهل الإيمان، فإذا كان من الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته -ﷺ- في تخفيف العذاب عنه، لا في إسقاط العذاب بالكلية، ثم ذكر ما ورد عنه ﷺ في شأن شفاعته لعمه أبي طالب[٥].

٢- أن عدم انتفاع الكفار بالشفاعة عام في حق كل كافر، ولكن قد

---

(١) صحيح مسلم ١/١٩١ كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين.

(٢) من كتاب مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٤٥-١٤٧.

(٣) ص٤٢.

(٤) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ١/٢٤٩، وانظر أيضاً كتاب البعث والنشور للإمام البيهقي ص٣١.

(٥) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/١٤٤.

خُص منه أبو طالب ولهذا تعد هذه الشفاعة من خصائص النبي ﷺ.

وهذا أيضاً جواب قوي، ومال إليه الإمام البيهقي[١] رحمه الله.

٣- أن أبا طالب المخفف عنه لما لم يجد أثر التخفيف فكأنه لم ينتفع بذلك.

ويؤيد هذا ما ثبت أنه ما يرى أن أحداً أشد عذاباً منه مع أنه أهونهم عذاباً[٢] وذلك لأن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال، فالمعذب لاشتغاله بما هو فيه يصدق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف[٣].

وقد يرد هنا شبهة أخرى تتعلق بالشفاعة العظمى حيث تقدم[٤] أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف يوم القيامة، وفيهم المؤمن والكافر.

ويمكن أن يجاب عن هذا بأن شفاعة الرسول ﷺ يومئذ لن تنجي الكفار من النار، بل هي لفصل القضاء بين الناس، وهذا شامل للمؤمنين والكفار، والله تعالى أعلم.

ويحسن بنا أن نختتم هذا المبحث بالفقرة الآتية، لأهميتها وصلتها بالموضوع.

---

(١) انظر كتاب البعث والنشور للبيهقي ص٣٠، وانظر أيضاً فتح الباري لابن حجر ١١ / ٤٣١.

(٢) انظر صحيح مسلم ١ / ١٩٦ كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً.

(٣) انظر فتح الباري ١١ / ٤٣١.

(٤) ص٣٨ فما بعدها.

الفرق بين الشفاعة عند الله وبين الشفاعة عند البشر:

لا شك أن الشفاعة عند الله تعالى -التي سبق بيان شروطها- ليست كالشفاعة عند البشر في الدنيا، وبيان ذلك فيما يأتي:

١- من أعظم الفروق أن الشفاعة عند البشر قد تحصل بدون إذن المشفوع إليه، أو بدون رضاه عن المشفوع له، وذلك لأي سبب من الأسباب، والتي تدل على تأثير المخلوق في المخلوق، بخلاف الشفاعة عند الله تبارك وتعالى، فلا تحصل إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له، فإن الله تعالى بيده كل شئ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يؤثر فيه شئ من مخلوقاته سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً ذلك: «وإذا كان الله لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى؛ فما بقي الشفعاء شركاء، كشفاعة المخلوق عند المخلوق، فإن المخلوق يشفع عند نظيره، أو من هو أعلى منه، أو دونه، بدون إذن المشفوع إليه، ويقبل المشفوع إليه -ولابد- شفاعته: إما لرغبته إليه، أو فيما عنده من قوة أو سبب ينفعه به أو يدفع عنه ما يخشاه، وإما لرهبته منه، وإما لمحبته إياه، وإما للمعاوضة بينهما والمعاونة، وإما لغير ذلك من الأسباب.

وتكون شفاعة الشفيع هي التي حركت إرادة المشفوع إليه، وجعلته مريداً للشفاعة بعد أن لم يكن مريداً لها، كأمر الآمر الذي يؤثر في المأمور، فيفعل ما أمره به بعد أن لم يكن مريداً لفعله»[1].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤ / ٣٨١.

« وإذا دعاه الداعي، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة؛ لم يكن هذا مؤثراً فيه، كما يؤثر المخلوق في المخلوق، فإنه سبحانه هو الذي جعل هذا يدعو، وهذا يشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه عليه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما يؤثر فيه شئ من المخلوقات، بل هو سبحانه الذي جعل ما يفعله سبباً لما يفعله »[١].

وقال الشيخ محمد صديق حسن شارحاً بعض الأسباب المؤثرة في الشفاعة عند البشر، وانتفاء ذلك في حق الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى تحت عنوان: أنواع الشفاعة في الدنيا والمقارنة بينها وبين الشفاعة عند الله.

الصورة الأولى: شفاعة الوجاهة: اعلم أن الشفاعة عبارة عن السعي في حق أحد بالخير، وهو في الدنيا على أنحاء: منها ثبوت السرقة مثلاً على ذمة أحد عند السلطان، فيشفع له أمير أو وزير أو كبير، فيعفو عنه ولا يحدُّه، ويبقى سليماً من العذاب. ولا شك أن السلطان يريد بقلبه الأخذ عليه، وأن من سرق مستحق للجزاء الذي هو معيّن في قانونه وديوانه.

ولكن قبل السلطان شفاعة ذلك الأمير نظراً إلى شوكته وشأنه، وعفا عن تقصير السارق لكون الشافع فيه ركناً من أركان سلطنته، وناصحاً لمملكته، فيظن السلطان أن كظم الغيظ في موضع واحد

(١) المرجع السابق ١٤ / ٣٨٢، ٣٨٣، وانظر إغاثة اللهفان لابن القيم ١ / ٢٢٠-٢٢٣.

والعفو عن سارق خير من أن يسخط على أمير كبير، تخرب المملكة وتفسد السلطنة بسخطه، فمثل هذه الشفاعة يقال لها شفاعة الوجاهة، أي أن هذه الشفاعة قد قُبلت بناءً على وجاهة ذلك الأمير أو الكبير ونحوهما، ولولا هذه الوجاهة لم تقبل.

فمثل هذه الشفاعة لا تليق بمقام الواحد القهار، ولا تُقبل، ولا يقدر أحد أن يشفع مثل هذه الشفاعة عنده سبحانه أبد الآباد. ومن اعتقد أن أحداً من الأنبياء، والأولياء والأئمة، والشهداء، والملائكة، والكبراء والكرماء يشفع عند الله مثل هذه الشفاعة فهو مشرك على الحقيقة، وجاهل عظيم لم يفهم معنى الإِلهية، وقدر مالك الملك حق قدره.

الصورة الثانية: شفاعة المحبة: أي أن يشفع في ذلك السارق محبوب للسلطان ليمنعه من عقابه، فيقبل السلطان شفاعته حباً للشفيع وكرامة له، ويعفو عن ذنب السرقة بهذا العجز وهذه الشفاعة يقال لها المحبة، يعني أن السلطان قبل هذه الشفاعة بناءً على حب الحبيب، وظن أن كظم الغيظ مرة واحدة، والعفو عن السارق حفظاً لحبه خير من هم وغم يلحقه من ذهاب المحبوب عنده.

فمثل هذه الشفاعة أيضاً لا تقبل عند الله تعالى ومن زعم أن

مثلها تقبل في جناب الله ويقدر أحد على مثلها فيه فهو مشرك بالله وجاهل به سبحانه كما تقدم.

بل إن الله تعالى وإن أكرم أحداً من عباده واتخذه خليلاً أو كليماً، أو خاطب أحداً منهم بالرسول الكريم أو الروح الأمين؛ فالمالك مالك، والمملوك مملوك[١].

٢- ومما يمكن ذكره من الفروق بين الشفاعة عند الله تعالى وبين الشفاعة عند البشر ما استظهره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو فرق له علاقة بالمعنى اللغوي للشفاعة.

حيث قال رحمه الله تعالى: «الشفيع كما أنه شافع للطالب شفاعته في الطلب، فهو أيضاً قد شفع المشفوع إليه، فبشفاعته صار المشفوع إليه فاعلاً للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب.

والله تعالى وتر لا يشفعه أحد، فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فالأمر كله إليه وحده، فلا شريك له بوجه، ولهذا ذكر سبحانه نفي ذلك في آية الكرسي، التي فيها تقرير التوحيد، فقال: ﴿**لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**[٢]﴾[٣].

---

(١) من كتاب الدين الخالص لمحمد صديق حسن ٢/ ١٦، ١٧، ١٨ بتصرف واختصار.
(٢) سورة البقرة (٢٥٥).
(٣) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٤/ ٣٨١، ٣٨٢.

٣- ومن الفروق أيضاً احتياج البشر إلى الشفاعة فيما بينهم، وذلك لجهلهم أحوال الناس، والله تعالى لا يحتاج إلى تعريف من شفيع، فهو سبحانه عالم الغيب والشهادة.

وقد أوضح الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله ذلك حيث قال عند تفسيره قول الله تعالى ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾(١) هذا الاستفهام في آية الكرسي استفهام إنكاري عظيم، فمن ذا الذي يشفع عنده منهم، فيحمله على ترك عقوبة مذنب من بين المذنبين لمجرد الشفاعة؟ فهذا خلاف مقتضى سنته وعدله وحكمته؛ لأنه الخلاق العليم، يعلم جميع أحوال المذنبين وملابساتهم، ولا يحتاج إلى تعريف شفيع، فإن الشفاعة يحتاج إليها المخلوقون فيما بينهم من حاكم ومحكوم، لضعف علم الحاكم، وحاجته إلى التعريف بالأحوال، فقياس الله عليهم فاسد مرفوض(٢).. إلخ.

وقال أيضاً عند تفسيره قول الله تعالى ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ أي أن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية من أحوال الناس مما يباشرونه بين أيديهم، ومما خلّفوه وراءهم من الماضي، فإنه عليم محيط بالجميع مما يدركونه وما يجهلونه.

---

(١) سورة البقرة (٢٥٥).

(٢) صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٥٣.

وهذه الجملة من تلك الآية -آية الكرسي- هي دليل على نفي الشفاعة بالمعنى المعروف عند أهل الكتاب والمشركين، وذلك أنه لما كان عالماً بكل شئ فعله الناس في ماضيهم وفي حاضرهم الذي بين يديهم وما يستقبلونه، وكان من يجابههم به مستنداً على هذا العلم الذي لا يحيط به سواه، كانت الشفاعة المعهودة مما يستحيل عليه سبحانه وتعالى، لأنها لا تتحقق إلا بإعلام الشفيع للمشفوع عنده من أمر المشفوع له وما يستحقه من العفو مما لا يعلم المشفوع عنده منه شيئاً، فبإعلام الشفيع للمشفوع عنده بحقيقة حال المشفوع له يحصل العلم والتبصر من المشفوع عنده فيقبل شفاعة الشفيع لجهله بأحوال الناس، وهذا يستحيل على الله تعالى الذي علمه محيط بكل شئ ولا تخفى عليه خافية[1]... إلخ.

---

(١) صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ٣/ ٤٥٥، ٤٥٦.

المبحث الثاني
أسباب الحصول على الشفاعة

تقدم لنا في المبحث السابق بيان الشروط التي لابد منها حتى تتحقق الشفاعة وتقع يوم القيامة.

وقد وردت عدة أحاديث نبوية علقت حصول الشفاعة على أداء أعمال خاصة، وهذا ما سيتم بيانه في هذا المبحث، فسأذكر بإذن الله ما يتيسر من أسباب الحصول على الشفاعة مما ورد في الأحاديث الشريفة.

مع العلم أن مجرد هذه الأسباب لا تؤدي بذاتها إلى الشفاعة، لأنه لابد من تحقق شروطها. فهي أسباب رغّب فيها الشارع، توصل صاحبها إذا أداها بإخلاص مع المتابعة للرسول ﷺ -توصله بإذن الله تعالى إلى نيل الشفاعة يوم القيامة، وذلك بمغفرة ذنوبه أو رفع درجاته، ونحو ذلك.

وإليك هذه الأسباب:

١- التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى:

لاشك أن التوحيد المتضمن إخلاص العبادة لله تعالى أعظم الأسباب التي تُنال بها الشفاعة يوم القيامة، بل إن التوحيد شرط من شروط الشفاعة، كما تقدم.

ولهذا جاء في الحديث قول النبي ﷺ لما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه**»(١).

(١) تقدم تخريجه ص٧٨.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: الشفاعة سببها توحيد الله، وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصاً كان أحق بالشفاعة، كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص (لا إله إلا الله) علماً وعقيدة، وعملاً وبراءة، وموالاة ومعاداة؛ كان أحق بالرحمة[١].

٢- قراءة القرآن:

تقدم لنا حديث أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرؤا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه..**»[٢].

فأصحاب القرآن هم الذين يتلونه ويتدبرونه ويعملون به، ولهذا جاء في الحديث «**اعملوا بالقرآن، أحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، واقتدوا به، ولا تكفروا بشئ منه، وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولى الأمر من بعدي كيما يخبروكم، وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور، وما أوتي النبيون من ربهم، وليسعكم القرآن، وما فيه من البيان، فإنه شافع مشفَّع..**»[٣].

---

(١) من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٤/ ٤١٤ باختصار.

(٢) تقدم تخريجه ص٦٧.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه ١/ ٥٦٨ كتاب فضائل القرآن، من حديث معقل بن يسار المزني رضي الله عنه، وقال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

٣- الصيام:

تقدم لنا حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان**»[١].

فهذا الحديث صريح في شفاعة الصيام لصاحبه يوم القيامة، وهذا يدل على فضل الصيام، ولا سيما من يصوم إيماناً واحتساباً.

٤- الدعاء بما ورد عند الأذان:

جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة**[٢]**، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**»[٣].

فمن حافظ على هذا الدعاء بعد كل أذان فهو موعود بالشفاعة يوم القيامة من قبل النبي ﷺ.

٥- سكنى المدينة النبوية، والصبر على لأوائها، والموت بها:

جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد مولى المهري أنه جاء أبا سعيد

---

(١) تقدم تخريجه ص٦٧.

(٢) المراد دعوة التوحيد، وُصفت بالتامة لأن فيها أتم القول (لا إله إلا الله) ولا يدخلها تغيير ولا تبديل. انظر فتح الباري ٢/ ٩٥.

(٣) صحيح البخاري ١/ ١٥٢ كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء.

الخدري ليالي الحرة(١) فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جَهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك! لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصبر أحد على لأوائها فيموت بها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة، إذا كان مسلماً**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي إلا كنت له شفيعاً يوم القيامة أو شهيداً**»(٣). وجاء في بعض السنن عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها**»(٤).

ففي هذه الأحاديث ونحوها فضيلة سكنى المدينة، والصبر على شدتها ولأوائها، والموت بها، حيث إن ذلك من أسباب شفاعة الرسول ﷺ.

٦- الصلاة على النبي محمد ﷺ:

عن رويفع بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى**

---

(١) أي الفتنة المشهورة التي نهبت فيها المدينة سنة ٦٣هـ (شرح النووي لصحيح مسلم ٩/١٤٩).

(٢) صحيح مسلم ٢/١٠٠٢ كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة والصبر على لأوائها.

(٣) المرجع السابق ٢/١٠٠٤.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٥/٧١٩ كتاب المناقب، باب فضل المدينة، وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وأخرجه أيضاً ابن ماجه في سننه ٢/١٠٣٩ كتاب المناسك، باب فضل المدينة، ولفظه (فإني أشهد لمن مات بها)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢/٧٤، ١٠٤، وابن حبان في صحيحه ٦/٢١ كتاب الحج (بترتيب ابن بلبان). وقد رمز له السيوطي بأنه صحيح (الجامع الصغير ص١٦٣).

على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي»(١).

وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **«من صلى علي حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»**(٢).

وجاء في بعض السنن عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أولى الناس**(٣) **بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة»**(٤).

٧- صلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم:

جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من ميت تصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شُفعوا فيه»**(٥).

وفي صحيح مسلم أيضاً عن كريب مولى ابن عباس عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه مات ابن له بُقديد أو بعُسفان(٦)، فقال: يا كريب

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٣٩٥، وقال المنذري: (رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط، وبعض أسانيدهم حسن) الترغيب والترهيب ٢ / ٥٠٥، وقال الهيثمي: (رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيدهم حسنة) مجمع الزوائد ١٠ / ١٦٣.

(٢) جاء في مجمع الزوائد للهيثمي ١٠ / ١٢٠: رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد أحدهما جيد ورمز السيوطي للحديث بأنه حسن (الجامع الصغير ٢ / ١٧٥).

(٣) أي أحق الناس بشفاعتي.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ٢ / ٣٥٤ كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ، وقال: هذا حديث حسن غريب، وأخرجه ابن حبان في صحيحه ٢ / ١٣٣ (بترتيب ابن بلبان).

(٥) صحيح مسلم ٢ / ٦٥٤ كتاب الجنائز، باب من صلى عليه مائة شفعوا فيه.

(٦) قُديد وعُسفان: موضعان قرب مكة المكرمة. انظر معجم البلدان للحموي ٤ / ١٢١، ٣١٣.

ما اجتمع له من الناس، قال: فخرجت، فإذا ناس قد اجتمعوا له، فأخبرته، فقال: تقول هم أربعون؟ قال: نعم، قال: أخرجوه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه**»(١).

وجاء في بعض السنن عن مرثد بن عبدالله اليزني قال كان مالك بن هبيرة الشامي -وكانت له صحبة- إذا صلى على جنازة فتقالّ الناس عليها جزّأهم ثلاثة صفوف، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب**»(٢).

٨- كثرة السجود:

جاء في مسند الإمام أحمد عن زياد بن أبي زياد مولى بني مخزوم عن خادم للنبي ﷺ رجل أو امرأة قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «**ألك حاجة؟**» قال حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله حاجتي، قال: «**وما حاجتك؟**» قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة. قال: «**ومن دلك على هذا؟**» قال: ربي، قال: «**فأعني بكثرة السجود**»(٣).

وقد جاء في صحيح مسلم عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي «**سل**» فقلت:

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٦٥٥ كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٣/ ٥١٥ كتاب الجنائز، باب في الصفوف على الجنازة، والترمذي في سننه ٣/ ٣٤٧ كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على الجنازة والشفاعة للميت، وقال: حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه في سننه ٢/ ٤٧٨ كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن صلى عليه جماعة من المسلمين، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٧٩.

(٣) مسند الإمام أحمد ٣/ ٥٠٠. وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٢/ ٢٤٩).

أسألك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك؟**» قلت: هو ذاك، قال: «**فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود**»[١].

والمراد بالسجود هو السجود في الصلاة، وسبب الحث عليه لأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذي يداس ويمتهن[٢]، والله تعالى أعلم.

تلك نبذة من الأسباب التي تُرجى عن طريقها شفاعة الرسول ﷺ وغيره يوم القيامة.

وقد يتساءل البعض كيف يُوعد أصحاب هذه الأسباب -وهي في جملتها أعمال صالحة- بالشفاعة.

ويجاب عن هذا بأن الشفاعات متنوعة يوم القيامة -كما تقدم- فمنها شفاعات للمذنبين الموحدين بإخراجهم من النار وإدخالهم الجنة، ومنها شفاعات للصالحين برفع درجتهم في الجنة، أو إدخالهم الجنة بلا حساب، فيُعطى كل أحد ما يناسبه[٣]، والله تعالى أعلم.

هل زيارة قبر الرسول ﷺ من أسباب الشفاعة؟:

ذكر بعضهم أن من أسباب الشفاعة زيارة قبر الرسول ﷺ، واستدلوا بأحاديث منسوبه للرسول ﷺ في هذا الشأن.

---

(١) صحيح مسلم ١/٣٥٣ كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه.
(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٤/٢٠٦.
(٣) انظر فتح الباري ٢/٩٦.

ولا شك في مشروعية زيارة قبره ﷺ بدون شد رحل، وأن فاعل ذلك مثاب، ولكن القول بأن الشفاعة ثوابه هو محل النظر هنا.

وأما الأحاديث التي استدل بها من يرى ذلك؛ فقد أبان المحققون من العلماء أنه لا يثبت منها شئ، وقد تكلموا في نقد أسانيدها ورواتها، كل حديث على حدة، ولولا خشية الإطالة لنقلت ذلك مفصلاً.

وهذه أشهر الأحاديث المذكورة:

فمن ذلك حديث «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[١].

وحديث «من زار قبري حلت له شفاعتي»[٢].

وحديث «من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً»[٣].

وحديث «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً أو شهيداً»[٤].

وحديث «من زار قبري أو من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً»[٥].

وبما تقدم يمكننا القول بأن زيارة قبر النبي محمد ﷺ ليست من أسباب الشفاعة؛ لعدم ثبوت الأحاديث في ذلك، ولا عبرة بتعدد رواياتها وطرقها إذا لم تكن صحيحة، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر لمعرفة تخريج الحديث والحكم عليه الكتب الآتية:
الرد على الأخنائي لابن تيمية ص٢٩، الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي ص٢٩، فما بعدها، أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد النجمي ص١٣٣-١٣٩.

(٢) انظر الصارم المنكي ص٥٥.

(٣) انظر المرجع السابق ص٦٨ فما بعدها، أوضح الإشارة ص١٣٩-١٤٢.

(٤) انظر الصارم المنكي ص٢٣٠، أوضح الإشارة ص١٥٩-١٦١.

(٥) انظر الصارم المنكي ص١٣٠ فما بعدها، أوضح الإشارة ص١٤٥-١٥٣.

المبحث الثالث

أحكام الاستشفاع بالرسول ﷺ

من أجل اكتمال معرفة رأي أهل السنة في الشفاعة رأيت أنه لابد من توضيح أحكام هذه المسألة الهامة، التي لها صلة واضحة بموضوع الفصل.

فهل يشرع الاستشفاع بالرسول ﷺ؟ أي طلب الشفاعة منه، ومتى ذلك؟ ومتى يُمنع الاستشفاع أيضاً؟.

وإليك هذا التفصيل إجابة على هذه الأسئلة:

إن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ في الأمور الدنيوية، حال حياته ﷺ لا بأس به، وقد تقدم بيان هذا الأمر في المبحث الثاني من التمهيد. وأما طلب الشفاعة الأخروية من الرسول ﷺ -وهذا هو المقصود- ففيه تفصيل:

أ- فإن كان هذا حال حياته ﷺ وحضوره فهذا جائز وواقع، وهو من جنس طلب الدعاء من الصالحين. وقد كان أصحاب الرسول ﷺ يتوسلون إلى الله بدعائه ﷺ وشفاعته[1]. ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق المسلمين على ذلك.

حيث قال رحمه الله: «وأما شفاعته ﷺ ودعاؤه للمؤمنين فهي نافعة في الدنيا والدين، باتفاق المسلمين»[2].

---

(١) الرد على البكري لابن تيمية ص٣٢٨، مجموع الفتاوى ١/١٤٣، ١٤٧.
(٢) مجموع الفتاوى ١/١٤٨.

ومن الأدلة على ثبوت طلب الصحابة رضي الله عنهم الشفاعة من الرسول ﷺ في حياته ما جاء في سنن الترمذي وغيره عن أنس ابن مالك رضي الله عنه أنه قال: سألت النبي ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: «**أنا فاعل**» قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط..**»[١] الحديث.

وما تقدم لنا من حديث عوف بن مالك الأشجعي أنه قال قال رسول الله ﷺ: «**أتاني آت من ربي فخيّرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة، وإني اخترت الشفاعة**» فقلنا يا رسول الله ننشدك الله والصحبة لما جعلتنا من أهل شفاعتك، قال: «**فإنكم من أهل شفاعتي..**» وفي رواية «**قلنا: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها..**»[٢].

ومما ينبغي أن يعلم هنا أنه لا يلزم تحقق الشفاعة لكل من طلبها من النبي ﷺ في حياته، بل لابد من توفر شروط الشفاعة ليكون أهلاً لها.

ولهذا نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن الاستغفار لعمه أبي طالب[٣]، ولم يأذن له بالاستغفار لأمه[٤]، كما تقدم بيانه.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٤ / ٦٢١ كتاب القيامة وقال: حديث حسن غريب، والإمام أحمد في مسنده ٣ / ١٧٨.
وقال عنه الألباني: سنده جيد،. انظر مشكاة المصابيح ٣ / ١٥٥٧ هـ(٦).
(٢) تقدم تخريجه ص٧٨.
(٣) راجع ص٨١.
(٤) راجع ص٨٢.

وقال تعالى لنبيه ﷺ عن المنافقين ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾(١).

ب- وإن كان طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته -أي في حال الحياة البرزخية- فهذا لا يجوز.

بل إن هذا من البدع المحدثة، ولا دليل على جوازه، والعبادات مبناها على الاتباع لا على الهوى والابتداع، ولم يُعهد مثل هذا عن الصحابة رضي الله عنهم، وهم أحرص الناس على فعل الخير، وكذا من بعدهم من أتباعهم. فلا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته، قبل يوم القيامة، لا عند قبره، ولا بعيداً عنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «طلب شفاعته -ﷺ- ودعائه واستغفاره بعد موته، وعند قبره ليس مشروعاً عند أحد من أئمة المسلمين، ولا ذكر هذا أحد من الأئمة الأربعة وأصحابهم القدماء، وإنما ذكر هذا بعض المتأخرين(٢)... ومعلوم أنه لو كان طلب دعائه وشفاعته واستغفاره عند قبره مشروعاً لكان الصحابة والتابعون لهم بإحسان أعلم بذلك وأسبق إليه من غيرهم، ولكان أئمة المسلمين يذكرون ذلك، وما أحسن ما قال مالك: «لا

---

(١) سورة التوبة (٨٠).

(٢) من الكتب التي اعتنت بجمع أقوال هؤلاء المتأخرين وتبنّي آرائهم الكتاب المسمى (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ) تأليف يوسف بن اسماعيل النبهاني، وقد رد عليه الشيخ محمود شكري الألوسي في كتابه: غاية الأماني في الرد على النبهاني.

يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولَها[1] »[2].

وإذا كان لا يجوز طلب الشفاعة من الرسول ﷺ بعد موته فكذا غيره من الأنبياء والصالحين بعد موتهم وكذا الملائكة لتعذر إجابتهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « واعلم أنه لم يكن النبي -ﷺ- بعد موته بل ولا أحد من الأنبياء قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة والأنبياء والصالحين، ولا يستشفعوا بهم لا بعد موتهم ولا في مغيبهم، فلا يقول أحد: « يا ملائكة الله اشفعوا لي عند الله، سلوا الله أن ينصرنا، أو يرزقنا، أو يهدينا، وكذلك لا يقول لمن مات من الأنبياء والصالحين: يا رسول الله ادع الله لي، سل الله لي، استغفر الله لي ».

وذكر عدة أمثلة من أفعال المبتدعة عند القبور، أو في مغيبهم، ثم قال: « فهذا مما علم بالاضطرار من دين الإسلام وبالنقل المتواتر، وبإجماع المسلمين أن النبي ﷺ لم يشرع هذا لأمته، وكذلك الأنبياء قبله، لم يشرعوا شيئاً من ذلك، بل أهل الكتاب ليس عندهم من الأنبياء نقل بذلك كما أن المسلمين ليس عندهم عن نبيهم نقل بذلك، ولا فعل هذا أحد أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا ذكر أحد من الأئمة لا في مناسك الحج، ولا غيرها أنه يستحب لأحد أن يسأل النبي ﷺ عند قبره أن يشفع له، أو يدعو لأمته، أو يشكو إليه ما نزل بأمته من مصائب الدنيا والدين »[3].

---

(١) انظر الشفا للقاضي عياض ٢ / ٨٨.
(٢) مجموع الفتاوى ١ / ٢٤١.
(٣) المرجع السابق ١٦٠، ١٦١.

ومما يدل على عدم مشروعية الاستشفاع بالرسول ﷺ بعد موته، وأنه غير ممكن أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يسألوا النبي ﷺ بعد موته شيئاً من حاجاتهم ومطالبهم الدينية والدنيوية كما سبق، ولما أصيبوا بالجدب لم يستسقوا به ﷺ، بل عدلوا إلى غيره ﷺ من الأحياء، وطلب الشفاعة من الآخرين من جنس طلب الدعاء، لابد أن يكون حال حياتهم وحضورهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلام تقدم: «فأما التوسل بذاته -أي الرسول ﷺ- في حضوره، أو مغيبه، أو بعد موته، مثل الإقسام بذاته، أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم، لا بدعائهم؛ فليس هذا مشهوراً عن الصحابة والتابعين، بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان، ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ، والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً، كالعباس[1]، وكيزيد بن الأسود[2]، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ، لا عند قبره، ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل، كالعباس، ويزيد، بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال عمر: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[3] فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه، وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره فيتوسلوا به..»[4].

---

(١) سيأتي قريباً توثيق ذلك.

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٦٣٤ (ترجمة يزيد بن الأسود الجرشي).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١ / ١٦ كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا أقحطوا، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وانظر للمزيد من بيان هذه المسألة كتاب التوسل أنواعه وأحكامه للألباني ص٥١-٦٩.

(٤) مجموع الفتاوى ١ /٣١٨، ٣١٩.

جـ- وأما طلب الشفاعة من الرسول ﷺ يوم القيامة، فقد ثبت في النصوص الشرعية أن الناس يطلبونها منه ﷺ.

وقد تقدم لنا شيء من هذا عند الكلام عن الشفاعة العظمى[1]، وأن الناس يتوسلون إلى النبي ﷺ من أجل أن يشفع لهم إلى ربهم حتى يقضي بينهم، ويدخل أهل الجنة الجنة.

واستشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيامة هو كاستشفاعهم وتوسلهم به ﷺ حال حياته، فإنهم يطلبون منه يوم القيامة أن يشفع لهم إلى الله؛ كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره[2].

والحاصل مما تقدم أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ حال حياته جائز وواقع، سواء كان طلب الشفاعة في الأمور الدنيوية، أو طلب الشفاعة الأخروية، وكذا فإن الناس يطلبون الشفاعة من النبي ﷺ يوم القيامة.

وأمَّا طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته؛ فهي لا تطلب الآن إلا من الله تعالى، كأن يقول الداعي: اللهم ارزقني شفاعة نبيك، أو اللهم اجعلني ممن تشفِّع فيهم نبيك، أو اللهم لا تحرمني من شفاعته، ونحو ذلك.

ولشدة رغبة السلف الصالح في شفاعة النبي ﷺ فقد كانوا يسألون ربهم شفاعة نبيهم ﷺ.

قال القاضي عياض رحمه الله: «قد عُرف بالنقل المستفيض سؤال

---

(١) ص٣٣ فما بعدها.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ٢/٧٨٣.

السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها » ثم قال: « وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين[١] . . »[٢] إلخ.

ومما يجدر ذكره هنا أن من كان حريصاً على نيل شفاعة النبي ﷺ أو غيره يوم القيامة؛ فلا يقتصر على طلبها من ربه تبارك وتعالى، بل عليه أيضاً أن يتحرى الأسباب المؤدية إلى حصول الشفاعة، ويعمل بمقتضاها والله تعالى الموفق.

---

(١) هذه شبهة للمعتزلة وسيأتي الرد عليها ص١٢٧، ١٢٨.
(٢) انظر تفسير القرطبي ١٠ / ٣١٠، شرح النووي لصحيح مسلم ٣ / ٣٦.



الفصل الرابع
الشفاعة عند المخالفين لأهل السنة والرد عليهم

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: الخوارج والمعتزلة

ويتضمن ما يأتي:

أولاً: مذهبهم في الشفاعة

ثانياً: شبههم النقلية والرد عليها.

ثالثاً: شبههم العقلية والرد عليها.

المبحث الثاني: القبوريون ونحوهم:

ويتضمن ما يأتي:

أولاً: مذهبهم في الشفاعة.

ثانياً: شبهتهم والرد عليها.



المبحث الأول

الخوارج والمعتزلة

أولاً: مذهبهم في الشفاعة

تقدم لنا –في الفصل الثاني– ذكر أنواع الشفاعة عند أهل السنة، وكان من بينها الشفاعة لأهل الكبائر، وتضمن ذلك الاحتجاج لها وإثباتها.

ومع هذا فإن الخوارج والمعتزلة قد أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، فمنعوا الشفاعة لمن يستحق العذاب، أو أن يخرج من النار من يدخلها[١].

فعندهم «أن من دخل النار فليس بخارج منها»[٢].

ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الدرجات[٣]، كما لم ينكروا الشفاعة العظمى[٤].

وقد أنكر الخوارج الشفاعة في أهل الكبائر في آخر عصر الصحابة، وأنكرها المعتزلة في عصر التابعين، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين، الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت الحرام، ويسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرّين على معصية عملية، عالمين

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/١١٦.

(٢) كتاب الشريعة للآجري ص٣٣١ وانظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/١٦٨، ٣٣٤.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/١١٦، وانظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣/٣٥، الكشاف للزمخشري ١/١٥٢.

(٤) شرح النووي ٣/٣٦، معارج القبول للحكمي ٢/٢٥٦.

بتحريمها، معتقدينه، مؤمنين بما جاء فيه من الوعيد الشديد، فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون(١).

وقد اشتهر عندهم أن أهل الكبائر لا يغفر الله تعالى لهم، ولا يخرجهم من النار بعد أن يدخلوها، لا بشفاعة ولا غيرها(٢)، فمن دخل جهنم يُخلد فيها؛ لأنه إما كافر، وإما صاحب كبيرة ومات بلا توبة(٣).

ولما أنكر الخوارج الشفاعة أنكر عليهم الصحابة رضي الله عنهم ذلك، وحدثوهم بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك(٤).

ومن نماذج ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي عاصم (محمد بن أبي أيوب) قال: حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج، فخرجنا عصابة ذوي عدد نريد أن نحج، ثم نخرج على الناس، قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبدالله يحدث القوم -جالس إلى سارية- عن رسول الله ﷺ، قال: فإذا هو قد ذكر الجهنَّميِّين، قال، فقلت له: يا صاحب رسول الله، ما هذا الذي تحدِّثون؟ والله يقول: ﴿**إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ**﴾(٥) فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: اتقرأ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعت بمقام محمد عليه السلام؟ (يعني الذي يبعثه

(١) من كتاب معارج القبول للحكمي ٢/٢٥٦.
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١/٣١٨.
(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٢١٧، وانظر الملل والنحل للشهرستاني ١/٤٥، ١١٤، ١١٥.
(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي ٦/١٠٩٤ فما بعدها، فتح الباري لابن حجر ١١/٤٢٦.
(٥) سورة آل عمران (١٩٢).

الله فيه) قلت: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يُخرِج الله به من يخرج، قال: ثم نعت وضع الصراط ومرَّ الناس عليه.. قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها.. فرجعنا، قلنا: ويحكم! أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ؟ فرجعنا، فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد »(١).

وقد قال القاضي عبدالجبار، وهو أحد كبار المعتزلة، مقرراً مذهب المعتزلة في الشفاعة: « لا خلاف بين الأئمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، إنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة(٢) أنها للفساق من أهل الصلاة »(٣).

ثانياً: شبههم النقلية والرد عليها:

الشبهة الأولى: الاحتجاج بآيات الوعيد في القرآن الكريم الدالة على عموم تعذيب أصحاب الذنوب والمعاصي في النار، وعدم إخراجهم منها، وأن هذا يدل على ثبوت الشفاعة يوم القيامة لأهل العذاب.

وقد انبنى هذا على مذهبهم المشهور في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ماتوا من دون توبة؛ وذلك لأن الخوارج يكفرونهم(٤)، وأما المعتزلة فيخرجونهم من الإيمان ولا يدخلونهم في الكفر، فهم في منزلة بين

(١) صحيح مسلم ١/ ١٧٩ كتاب الإيمان.

(٢) يعني أهل السنة والجماعة.

(٣) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار بن أحمد ص٦٨٨.

(٤) أجمع الخوارج على ذلك ما عدا فرقة (النجدات) أصحاب نجدة الحروري. انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ١/ ١٦٨، الموجز لأبي عمار عبدالكافي الأباضي ٢/ ٩٤، ٢٠٨، آراء الخوارج للدكتور عمار الطالبي ١/ ١٤٢.

المنزلتين[١]، ولكنهم يخلدونهم في النار في الآخرة.

قال القاضي عبد الجبار: «دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام، فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ» وقال: ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ**[٢] ﴾[٣].

وذكر في موضع آخر -مبيناً وجه استدلالهم بهذه الآية- أن هذه الآية تدل على أنه ﷺ لا يشفع للفجار والفساق لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك[٤].

ومن الآيات التي استدلوا بها أيضاً قول الله تعالى ﴿ **رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾[٥] وقد تقدم استدلال الخوارج بهذه الآية في الحديث المتقدم قريباً.

وقال القاضي عبدالجبار: تدل الآية على أن الظالم لا تلحقه شفاعة رسول الله ﷺ، ولا يتخلص من النار إذا مات على ظلمه وإصراره[٦].

وقول الله تعالى ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾[٧]، وقد تقدم استدلال الخوارج بهذه الآية في

---

(١) انظر مثلاً كتاب شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٦٩٥ فما بعدها.

(٢) سورة الزمر (١٩).

(٣) شرح الأصول الخمسة ص٦٨٩.

(٤) متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ص٥٩٢.

(٥) سورة آل عمران (١٩٢).

(٦) متشابه القرآن ص١٧٧.

(٧) سورة السجدة (٢٠).

الحديث السابق.

قال القاضي عبدالجبار: «لو كان الفاسق يخرج من النار إما بانقطاع ما يستحقه من النار، أو بالشفاعة لما صح ما ذكره الله تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منا أعيدوا فيها»(١).

وقول الله تعالى ﴿ **يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ** ﴾(٢).

قال القاضي عبدالجبار: «تدل الآية على نزول العذاب بكل مجرم، وعلى أنه لا مخلص له ذلك اليوم من العذاب، لأنه لو خلص منه بشفاعة أو غيرها لما جاز أن يوصف بهذه الصفة التي تقتضي القياس من التخلص من العقاب»(٣).

وقول الله تعالى ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ** ﴾(٤).

قال القاضي عبدالجبار مبيناً وجه الاستدلال بهذه الآية على مذهبهم: «إن من جاءه العذاب لا يكون له ناصر، وفي هذا إبطال القول بالشفاعة»(٥).

---

(١) متشابه القرآن ص٥٦١.
(٢) سورة المعارج (١١).
(٣) متشابه القرآن ص٦٦٥.
(٤) سورة الزمر (٥٤).
(٥) متشابه القرآن ص٥٩٧.

الرد على هذه الشبهة:

يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي:

الوجه الأول: أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر الأئمة يقرون بما تواترت به الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن الله يخرج من النار قوماً من عصاة المؤمنين بعد أن يعذبهم الله ما شاء أن يعذبهم، يخرجهم بشفاعة محمد ﷺ، ويخرج آخرين بشفاعة غيره، ويخرج قوماً بلا شفاعة[١][٢].

فمذهب أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر ممّن ماتوا على الإيمان لا يخلدون في النار.

وقد «اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[٣].

وذلك لأن أهل السنة لا يكفرون مرتكب الكبيرة كالخوارج، ولا يخرجونه من الإيمان كالمعتزلة، بل إن مرتكب الكبيرة عندهم مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم[٤]. وأنه في الآخرة إن مات من دون توبة فهو تحت

---

(١) تقدم ذكر الأحاديث ضمن الفصل الثاني.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١ / ١٤٩ وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم للإمام أبي القاسم اللالكائي ٦ / ١٠٨٩ فما بعدها، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢ / ٥٢٤.

(٣) الإيمان لابن تيمية ص٢٠٩، وانظر عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٦٣.

(٤) انظر العقيدة الواسطية لابن تيمية ص١٦، ١٧، وانظر أيضاً كتاب مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص٣١٣ فما بعدها.

مشيئة الله تعالى.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني مقرراً ما تقدم: «ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة، صغائر وكبائر؛ فإنه لا يكفر بها.

وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل: إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة، سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار، ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها؛ بل أعتقه منها إلى نعيم دار القرار»[١].

الثاني: أن الآيات التي احتج بها المنكرون للشفاعة خاصة بالكفار فقط.

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله: «إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأً فاحشاً، خرج به عن الكتاب والسنة، وذلك أنه عمد إلى آيات من القرآن نزلت في أهل الكفر، أخبر الله عز وجل أنهم إذا دخلوا النار فهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة: أنها إنما هي لأهل الكبائر، والقرآن يدل على هذا»[٢] اهـ.

وقال الإمام البيهقي رحمه الله: «آيات التخليد كلها في الكفار»[٣].

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٢٧٦، وانظر كتاب البعث والنشور للبيهقي ص٣٦ فما بعدها.

(٢) الشريعة للآجري ص٣٣٤، ٣٣٥.

(٣) البعث والنشور للبيهقي ص٤٩.

وهذا جواب عام عن احتجاج أولئك بالآيات السابقة .

ويجاب عن احتجاجهم بها على سبيل التفصيل كما يأتي :

١- قول الله تعالى ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ** ﴾[١] المراد بكلمة العذاب هنا هي قول الله تعالى لإبليس ﴿ **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[٢] ومعنى الآية التسلية لرسول الله ﷺ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه فأعلمه الله أن من سبق عليه القضاء وحقت عليه كلمة الله لا يقدر رسول الله ﷺ أن ينقذه من النار، بأن يجعله مؤمناً، قال بعض السلف : المراد أبو لهب وولده، ومن تخلف من عشيرة الرسول ﷺ عن الإيمان، وفي الآية تنزيل لمن يستحق العذاب ممن قد صار فيه، وتنزيل دعائه إلى الإيمان منزلة الإخراج له من عذاب النار[٣] .

٢- أن معنى قول الله تعالى ﴿ **ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار** ﴾ ربنا إنك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته، ولا يُخزى مؤمن مصيره إلى الجنة وإن عُذب بالنار بعض العذاب، وقد رُوي معنى هذا عن جماعة من السلف، منهم أنس بن مالك رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري رحمهم الله تعالى[٤] .

---

(١) سورة الزمر (١٩) .

(٢) سورة ص (٨٥) .

(٣) فتح القدير للشوكاني ٤ / ٤٥٦ .

(٤) تفسير الطبري ٤ / ٢١١ .

فهذه الآية خاصة بمن لا يخرج من النار، ولهذا قال تعالى ﴿ **وما للظالمين من أنصار** ﴾ أي الكفار[١].

وقال آخرون منهم جابر بن عبدالله رضي الله عنه معنى الآية: إنك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها فقد أُخري بالعذاب وإن خرج من النار، وذلك الخزي هو هتك ستر المُخزى وفضيحته، ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه إياه[٢].

وعلى أي حال فهذه الآية ليس فيها ما يدل على تخليد كل من أُدخل النار، أو على نفي للشفاعة.

٣- أما قول الله تعالى ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا** ﴾[٣] فقد أجمع المفسرون على أن المراد بالذين فسقوا هم الذين كفروا وفارقوا طاعته[٤].

٤- وأما قول الله تعالى ﴿ **يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ** ﴾[٥]، فمعنى ذلك: يود الكافر يومئذ ويتمنى أن يفتدي نفسه من عذاب الله إياه ذلك اليوم؛ لو وجد إلى ذلك سبيلاً بأحب الناس إليه كان في الدنيا وأقربهم إليه نسباً، وذلك من عظيم ما ينزل به يومئذ من البلاء[٦].

---

(١) تفسير القرطبي ٤/٣١٦.
(٢) تفسير الطبري ٤/٢١١.
(٣) سورة السجدة (٢٠).
(٤) انظر مثلاً تفسير الطبري ١١/١٠٧، تفسير ابن كثير ٣/٤٦٣.
(٥) سورة المعارج (١١).
(٦) تفسير القرطبي ١٩/٧٥.

٥- وأما قول الله تعالى ﴿ **وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ** ﴾[١] فالمراد بذلك: أي ارجعوا إلى ربكم بالطاعة، واستجيبوا إليه بتوحيده وإفراده بالألوهية، وإخلاص العبادة له ﴿ **مِنْ قَبلِ أَن يَأتِيكُم العَذَاب** ﴾ أي في الدنيا من عند الله على كفركم به ﴿ ثم لا تنصرون ﴾ أي لا تُمنعون من عذابه النازل بكم[٢].

فالمراد بالعذاب هنا العذاب في الدنيا، كما ذكر المفسرون، وليس عذاب الآخرة.

الشبهة الثانية: الاحتجاج بنصوص الوعيد في الكتاب والسنة الدالة على التصريح بالخلود في النار، أو الحرمان من الجنة لمرتكبي بعض المعاصي، وأن في هذا دلالة على عدم إمكان الشفاعة لهم يوم القيامة.

ومن الآيات التي استدلوا بها قول الله تعالى ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[٣].

ومن الأحاديث ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده**

---

(١) سورة الزمر (٥٤).
(٢) تفسير الطبري ٢٤/١٧، تفسير القرطبي ١٥/٢٦٩، ٢٧٠.
(٣) سورة النساء (٩٣).

يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا»[١].

وما جاء في الصحيحين عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**»[٢].

وما جاء في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة نمام**»[٣]. ونحو ذلك.

الرد على هذه الشبهة:

لقد أجاب العلماء عن هذه الشبهة بعدة أجوبة، ومنها ما يأتي:

١- أن ما ورد من الوعيد بالخلود في النار أو الحرمان من الجنة لمن ارتكب تلك الذنوب محمول على من استحل ذلك، فإنه يصير باستحلاله كافراً، أما من فعلها معتقداً تحريمها فلا يلحقه هذا الوعيد، وإن لحقه وعيد الدخول في النار دون تخليد[٤].

٢- أن هذا جزاء من فعل شيئاً من تلك الذنوب، ولكن الله تكرم على الموحدين فأخرجهم من النار إلى الجنة بتوحيدهم[٥].

٣- أن الوعيد بالحرمان من الجنة المراد أنه لا يستحق دخول الجنة ابتداءً إن جوزي على ذنبه، بل يُعذب بقدر ذنوبه ثم يدخلها، وقد يعفو

---

(١) صحيح البخاري ٧ / ٣٢ كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به، صحيح مسلم ١ / ١٠٣ كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) صحيح البخاري ٧ / ٧٢ كتاب الأدب، باب إثم القاطع، صحيح مسلم ٤ / ١٩٨١ كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطعها.

(٣) صحيح مسلم ١ / ١٠١ كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ١ / ٣٩٥، فتح الباري ٣ / ٢٢٧.

(٥) فتح الباري ٣ / ٢٢٧، وانظر كتاب البعث والنشور للبيهقي ص٤٩.

الله تعالى عنه فلا يُعذب[١].

٤- أن هذا وعيد، وإخلاف الوعيد لا يذم بل يمدح، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، والفرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، وأن الوعد حق عليه أوجبه على نفسه، والله لا يخلف الميعاد[٢].

٥- أن هذه النصوص وأمثالها مما ذكر فيه المقتضي للعقوبة، يقال في شأنها: لا يلزم من وجود مقتضي الحكم وجوده؛ فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء مانعه، وغاية هذه النصوص الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها وقد قام الدليل على ذكر الموانع، كالتوبة، والتوحيد، والحسنات العظيمة الماحية، والمصائب الكبار المكفِّرة، وإقامة الحدود، ونحوها[٣].

الشبهة الثالثة: الاحتجاج بما جاء في القرآن الكريم من الآيات النافية للشفاعة، وأنها لا تنفع العصاة يوم القيامة، وإنما تختص بزيادة درجات أهل الجنة الذين ارتضاهم الله تعالى، وقد نصّت المعتزلة

---

(١) انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة ٢/٨٦٨، ٨٦٩ المتن والحاشية.
(٢) مدارج السالكين ١/٢٩٦، وانظر كتاب البعث للبيهقي ص: ٥٠.
(٣) مدارج السالكين ١/٣٩٦، ٣٩٦.

على هذا.

ومن الآيات التي استدلوا بها قول الله تبارك وتعالى ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[١].

قال الزمخشري عند هذه الآية مقرراً إنكار الشفاعة لعصاة المؤمنين وغيرهم ماعدا الشفاعة في رفع الدرجات في الجنة: «لو شفع لهم الشافعون جميعاً من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم، لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله، وهم مسخوط عليهم، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد في درجات المرتضين»[٢].

وقول الله تعالى ﴿ **مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾[٣].

قالوا: فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة[٤]، وأصحاب الكبائر ظالمون[٥].

وقول الله تعالى ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** ﴾[٦].

قالوا: فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؛ لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك، ثم نفى أن يقبل منها شفاعة

---

(١) سورة المدثر (٤٨).
(٢) الكشاف ٤ / ١٦٢.
(٣) سورة غافر (١٨).
(٤) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص٦٨٩.
(٥) انظر تفسير القرطبي ١ / ٣٧٩.
(٦) سورة البقرة (٤٨).

شفيع، والآية واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم، لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم[١].

وقول الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢].

لقد أشار الزمخشري عند هذه الآية إلى نفي الشفاعة عن عصاة المؤمنين بقوله: «إن أردتم أن يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم حط الواجبات؛ لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لاغير»[٣].

وقول الله تعالى ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ**﴾[٤].

وجه استدلالهم بها: هذه الآية تدل على أن الشفاعة لا تكون إلا لمن كانت طرائقه مرضية، وأن الكافر والفاسق ليسا من أهلها[٥].

الرد على هذه الشبهة:

يجاب على هذه الشبهة بأن ما جاء في القرآن الكريم من آيات الشفاعة المنفية يتعلق بالكفار فقط، بخلاف عصاة الموحدين؛ فإن الشفاعة ثابته لهم، كما دلت عليه النصوص الشرعية من القرآن والسنة، المثبتة للشفاعة.

قال ابن حزم رحمه الله: «قد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي لا

---

(١) انظر متشابه القرآن للقاضي عبدالجبار ص٩٠، الكشاف للزمخشري ١/ ٦٧.
(٢) سورة البقرة (٢٥٤).
(٣) الكشاف ١/ ١٥٢.
(٤) سورة الأنبياء (٢٨).
(٥) متشابه القرآن ص٤٩٩.

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فصح يقيناً أن الشفاعة التي أبطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي أثبتها عز وجل، وإذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي أبطل عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار.. فإذ لا شك فيه فقد صح يقيناً أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن أذن له واتخذ عنده عهداً ورضي قوله، فإنما هي لمذنبي أهل الإسلام، وهكذا جاء الخبر الثابت »[١].

وأما الشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة فهذه لا خلاف عليها، لكن لا يعني هذا تأويل جميع نصوص الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات، فهذا باطل، وألفاظ النصوص الشرعية في الشفاعة صريحة في بطلان ذلك[٢].

وهذا رد على هذه الشبهة على سبيل الإجمال، أما الرد عليها من خلال الآيات التي احتجوا بها على سبيل التفصيل فكما يأتي:

١- قول الله تعالى ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[٣] المراد بهذه الآية الكفار، حيث لا تنفعهم الشفاعة يوم القيامة، كما قال تعالى ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ *** ﴾[٤].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٦٤.
(٢) انظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣ / ٣٥.
(٣) سورة المدثر (٤٨).
(٤) سورة المدثر (٤٢-٤٨).

قال الإمام أبو بكر الآجري رحمه الله بعد أن ساق هذه الآيات: هذه كلها أخلاق الكفار، فقال الله عز وجل: ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾ فدل على أنه لابد من شفاعة، وأن الشفاعة لغيرهم، لأهل التوحيد خاصة، وقال الله عز وجل ﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ** ﴾[١] وإنما ود الكفار أن لو كانوا مسلمين عندما رأوا معهم في النار قوماً موحدين، فعيروهم وقالوا: ما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار! فحزنوا من ذلك، فأمر الله عز وجل الملائكة والأنبياء ومن سائر المؤمنين أن يشفعوا، فشفعوا فيهم فشُفِّعوا، فخرج من النار أهل التوحيد، ففقدهم أهل الكفر، فسألوا عنهم، فقيل شفع فيهم الشافعون؛ لأنهم كانوا مسلمين، فعندها ودوا لو كانوا مسلمين حتى تلحقهم الشفاعة، وأيقنوا أن ليس لهم شافع يشفع لهم ولا صديق حميم يغني عنهم من عذاب الله شيئاً، قال تعالى في أهل الكفر لما نضجوا بالعذاب وعلموا أن الشفاعة لغيرهم قالوا: ﴿ **فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** ﴾[٢] وقال عز وجل ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**[٣] ﴾[٤].

---

(١) سورة الحجر (١، ٢).

(٢) سورة الأعراف (٥٣).

(٣) سورة الشعراء (٩٤-١٠١).

(٤) من كتاب الشريعة للآجري ص٣٣٥، ٣٣٦ بتصرف.

وقد روى الآجري بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[(١)] قال: «لا تزال الرحمة والشفاعة حتى يقال: ليدخلن الجنة كل مسلم، قال: فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين»[(٢)].

٢- قول الله تعالى ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[(٣)] المراد بالظالمين الكفار، فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر[(٤)].

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله مبيناً معنى الآية: «ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل»[(٥)].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: «ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير»[(٦)].

٣- قول الله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[(٧)].

---

(١) سورة الحجر (٢).

(٢) أخرجه الآجري في كتاب الشريعة ص٣٣٧، والطبري في تفسيره ١٤ / ٣. وفي الباب آثار كثيرة. انظر مثلا كتاب الشريعة ص٣٣٦، ٣٣٧، تفسير الطبري ١٤ / ٢ ٥٠.

(٣) سورة غافر (١٨).

(٤) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢ / ٢١٧.

(٥) تفسير الطبري ٢٤ / ٥٣.

(٦) تفسير ابن كثير ٤ / ٧٦، وانظر شرح النووي لصحيح مسلم ٣ / ٣٥.

(٧) سورة البقرة (٤٨).

المراد بالنفس في هذه الآية النفس الكافرة.

قال الطبري رحمه الله: «قوله تعالى ﴿**ولا يقبل منها شفاعة**﴾ إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله عز وجل»[١].

وقال القرطبي رحمه الله: «أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**﴾ النفس الكافرة لا كل نفس[٢].

ومما يؤيد أن هذه الآية خاصة بالكفار أنها نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم[٣].

٤- قول الله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٤].

ذكر المفسرون أن الشفاعة المنفية هنا تتعلق بالكفار فحسب.

وقد أوضح هذا بالتفصيل الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية.

وسأقتطف الآن بعضاً مما ذكره: هذه الآية مخرجها في الشفاعة عام، والمراد بها خاص، وإنما معناه: من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله، لأن أهل ولاية الله والإيمان

---

(١) تفسير الطبري ١/٢٦٨.
(٢) تفسير القرطبي ١/٣٧٩.
(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/٢١٧، وانظر تفسير الطبري ١/٢٦٧.
(٤) سورة البقرة (٢٥٤).

يشفع بعضهم لبعض.

ثم روى عن قتادة رحمه الله قوله في هذه الآية: قد علم الله أن أناساً يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض، فأما يوم القيامة فلا خلة إلا خلة المتقين.

وقال الطبري أيضاً: في قوله تعالى ذكره في هذا الموضع ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ دلالة واضحة على صحة ما قلناه، وأن قوله ﴿ **ولا خلة ولا شفاعة** ﴾ إنما هو مراد به أهل الكفر، فلذلك أتبع قوله ذلك ﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾ فدل بذلك على أن معنى ذلك: حرمنا الكفار النصرة من الأخلاء؛ إذ كان ذلك جزاء منا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا، بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم.

ثم أجاب رحمه الله تعالى عن وجه صرف الوعيد إلى الكفار، مع أن الآية مبتدأة بذكر أهل الإيمان[١].

٥- قول الله تعالى ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾[٢].

قال الإمام بن حزم رحمه الله رداً على من احتج بهذه الآية على إنكار الشفاعة وقصرها على المحسنين فقط: «لا حجة لهم فيها؛ لأن من أذن الله في إخراجه من النار وأدخله الجنة، وأذن للشافع في

---

(١) انظر تفسير الطبري ٣/٣، ٤.

(٢) سورة الأنبياء (٢٨).

الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه »[١].

وقال السفاريني عند رده على هذه الشبهة لنفاة الشفاعة: « على أنا نقول لا يُسلَّم لهم زعمهم أن الفاسق غير مرضي من جهة الإيمان والعمل الصالح، وإن كان مبغوضاً من جهة الذنوب والعصيان، وارتكاب القبائح، بخلاف الكافر؛ فإنه ليس بمرضي مطلقاً، لعدم الأساس الذي تُبنى عليه الحسنات.. وهو الإيمان »[٢].

وهكذا فإن ما ورد في القرآن الكريم من الشفاعة المنفية فالمراد به نفي الشفاعة عن الكفار والمشركين بالله تعالي، كما تقدم في الآيات السابقة، وقد يكون المراد ببعض آيات الشفاعة المنفية نفي الشفاعة التي لم تستكمل الشروط التي سبق بيانها، كأن تكون بغير إذن الله تعالى للشافع، قال الله تعالى ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾[٣]، أو تكون بغير رضاه تبارك وتعالى عن المشفوع له، كالكافر، قال تعالى ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾[٤] ونحو ذلك.

تلك أبرز الشبه النقلية التي تعلق بها منكرو الشفاعة في عصاة المؤمنين، وقد تم الرد عليها بحمد الله تعالى.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤ / ٦٤.
(٢) لوامع الأنوار البهية ٢ / ٢١٧، ٢١٨، وانظر تفسير القرطبي ١ / ٣٧٩.
(٣) سورة البقرة (٢٥٥).
(٤) سورة الأنبياء (٢٨).

ثالثاً: شبههم العقلية والرد عليها:

هناك شبه أخرى أيضاً - عدا ما تقدم- تعلق بها أولئك ولا سيما المعتزلة، ويمكن تصنيفها ضمن الشبه العقلية.

وقد أورد هذه الشبهات أحد كبار المعتزلة، وهو القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني عند كلامه عن الشفاعة في كتابه (شرح الأصول الخمسة). ويمكن عرضها ثم الرد عليها كما يأتي:

الشبهة الأولى: قال القاضي عبدالجبار: «ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».. وهذا الخبر لم تثبت صحته، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ، ومسألتنا طريقها العلم، فلا يصح الاحتجاج به»[1].

الرد على هذه الشبهة:

يجاب على هذه الشبهة من عدة وجوه:

الوجه الأول: تقدم إيراد هذا الحديث عند الاحتجاج على إثبات الشفاعة في أهل الكبائر[2]، وذكرنا هناك أنه قد أخرجه جمع من أصحاب السنن والمساند عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وأن بعض أئمة الحديث قد نصوا على صحته.

الوجه الثاني: أن الامتناع عن الاحتجاج بهذا الحديث -على افتراض

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص٦٩٠.

(٢) راجع ص٤٩.

صحته- لأنه من أحاديث الآحاد غير مُسلَّم؛ لما تقدم من بيان صحة هذا الحديث، وأنه روي عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم. أما دعوى المعتزلة عدم الاحتجاج بأحاديث الآحاد، وأنها لا تفيد العلم ولا سيما في أمور العقائد؛ فهذه من المسائل التي خالف فيها المعتزلة وغيرهم أهلَ السنة والجماعة.

فإن أهل السنة والجماعة يرون الاحتجاج بأخبار الآحاد في أمور العقائد والأحكام، وأنها تفيد العلم، ولا يفرقون بين الخبر المتواتر وخبر الآحاد إذا كان صحيحاً.

وليس هذا موضع بحث المسألة، ولقد بحثها عدد من علماء أهل السنة والجماعة، فبسطوا الأدلة، وردوا على المخالفين، بل إن بعضهم أفردها بالتصنيف[١].

الوجه الثالث: لقد دل على هذه الشفاعة -أعني الشفاعة في أهل الكبائر- أحاديث أخرى صحيحة وكثيرة جداً، مطولة ومختصرة، في الصحيحين وغيرهما، وقد ذكرنا جملة منها عند الاحتجاج لهذا النوع من أنواع الشفاعة.

الشبهة الثانية: قال القاضي عبدالجبار: المراد بالحديث السابق (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) أي إذا تابوا[٢].

---

(١) انظر مثلاً: كتاب الرسالة للشافعي ٣٦٩ فما بعدها، صحيح البخاري ٨/ ١٣٢ فما بعدها كتاب أخبار الآحاد، مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٣٥٩ فما بعدها، أخبار الآحاد في الحديث النبوي لعبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، العقيدة في الله لعمر الأشقر ص٤٦ فما بعدها.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص٦٩١.

الرد على هذه الشبهة:

يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي:

١- لا دليل على تقييد هذه الشفاعة لأهل الكبائر بالتوبة، لا في هذا الحديث ولا في غيره.

٢- من المعلوم أن التوبة تجب ما قبلها، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن تاب من أي ذنب توبة صادقة تاب الله عليه، وغفر ذنبه، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً للتائبين.

وما دام أن التائب ذنبه مغفور فلا يحتاج إلى شفاعة أحد، وإنما يحتاج إلى المغفرة أو الشفاعة المذنب الذي مات ولم يتب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً ثبوت مغفرة الله تعالى للتائبين: (قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[1] فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء، ولا يجوز أن يراد بذلك التائب، كما يقوله من يقوله من المعتزلة، لأن الشرك يغفره الله لمن تاب، وما دون الشرك يغفره الله أيضاً للتائب، فلا تعلق بالمشيئة؛ ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين قال تعالى ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[2] فهنا عمم المغفرة وأطلقها، فإن الله يغفر للعبد أي ذنب تاب منه، فمن تاب من الشرك غفر الله له، ومن

---

(١) سورة النساء (٤٨، ١١٦).

(٢) سورة الزمر (٥٣).

تاب من الكبائر غفر الله له، وأي ذنب تاب العبد منه غفر الله له، ففي آية التوبة عمم وأطلق، وفي تلك الآية خصص وعلق، فخص الشرك بأنه لا يغفره، وعلق ما سواه على المشيئة)[١].

الشبهة الثالثة: قال القاضي عبد الجبار: «الرسول إذا شفع لصاحب الكبيرة فلا يخلو: إما أن يُشفَّع، أو لا؛ فإن لم يُشفَّع لم يجز لأنه يقدح بإكرامه، وإن شفِّع لم يجز أيضاً لأنا دللنا على أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، وأن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً»[٢].

وفحوى هذه الشبهة للمعتزلة نفي الشفاعة لصاحب الكبيرة بناءً على رأيهم في مسألة الوعد والوعيد، حيث قطعوا بذلك، وأن هذا من مقتضى عدل الله تعالى.

فإثابة العبد بما لا يستحقه قبيح عندهم «فالله تعالى موف بوعده، منجز لوعيده حتماً، لأنه صادق ولا مبدل لكلماته»[٣] بل زعموا أن الله تعالى لا يقدر على خلاف ذلك[٤]، تعالى الله عن قولهم.

الرد على هذه الشبهة:

يرد عليها من عدة وجوه كما يأتي:

١- ما تقدم قريباً من أن إخلاف الوعيد لا يذم، بل يمدح، وأن الله

---

(١) مجموع الفتاوى ١١ / ١٨٤، ١٨٥.
(٢) شرح الأصول الخمسة ٦٨٩.
(٣) كتاب المعتزلة لزهدي جار الله ص٥١.
(٤) انظر المرجع السابق ص١٠٦.

تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، فهو حقه، وإخلافه عفو وهبة، وهو موجب كرمه وإحسانه.

٢- لا يصح الاقتصار على نصوص الوعيد فقط، كما تفعل الخوارج والمعتزلة، ولا الاقتصار على نصوص الوعد فقط، كما تفعل المرجئة؛ بل لابد من الجمع بينهما معاً، وهذا هو المذهب الوسط الذي سلكه أهل السنة، ولله الحمد.

٣- وجود التناقض بين قول المعتزلة: (إثابة من لا يستحق الثواب قبيح) وبين إثباتهم للشفاعة في رفع الدرجات في الجنة، فهؤلاء قد أثيبوا برفع درجاتهم في الجنة فوق ما يستحقونه.

٤- عدم صحة ما ذهبوا إليه (من أن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً) لما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدخل أحداً الجنة عملُه**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: «**ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة**»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فنفى بهذا الحديث ما قد تتوهم النفوس من أن الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة، كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا» ثم أبان رحمه الله غلط هذا التوهم من عدة وجوه[2].

---

(١) صحيح البخاري ٧ / ١٨٢ كتاب الرقاق/باب القصد والمداومة على العمل، صحيح مسلم ٤ / ١٢٧١ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله.

(٢) انظر جامع الرسائل لابن تيمية ١ / ١٤٧ فما بعدها.

وأما ما قد يحتج به المعتزلة من قول الله تعالى ﴿ **تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾[١] وأمثالها، فلا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة، والباء هنا للسبب، لكن من المعلوم أن السبب لا يستقل بالحكم، وكذلك فإن الله تعالى هو خالق الأسباب والمسبَّبات، فرجع الكل إلى محض فضل الله تعالى ورحمته[٢].

الشبهة الرابعة: قال القاضي عبدالجبار: «اتفقت الأمة على هذا القول: اللهم اجعلنا من أهل الشفاعة» فلو كان الأمر على ما ذكرتموه –أي أهل السنة– لكان يجب أن يكون هذا الدعاء دعاء لأن يجعلهم الله تعالى من الفساق، وذلك خلف»[٣].

الرد على هذه الشبهة:

يجاب على هذه الشبهة بما نقل عن القاضي عياض رحمه الله أنه قال: «قد عُرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضي الله عنهم شفاعة نبينا ﷺ ورغبتهم فيها» ثم قال وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين؛ فإنها قد تكون –كما قدمنا– لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير ومحتاج إلى العفو، غير معتدّ بعمله، مشفق منه أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرحمة، لأنها

---

(١) الأعراف (٤٣).
(٢) للمزيد من التفصيل انظر المرجع السابق ١/ ١٤٥–١٥٢، حادي الأرواح لابن القيم ص٦١، شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٦٤٢، ٦٤٣.
(٣) شرح الأصول الخمسة ص٦٩٢.

لأصحاب الذنوب أيضاً، وهذا كله خلاف ما عُرف من دعاء السلف والخلف»[١].

وقد أجاب أبو عبدالله القرطبي عن تلك الشبهة بما يوافق الجواب الثاني عنها للقاضي عياض، حيث قال رحمه الله تعالى «إنما يطلب كل مسلم شفاعة الرسول ويرغب إلى الله في أن تناله؛ لاعتقاده أنه غير سالم من الذنوب ولا قائم لله سبحانه بكل ما افترض عليه؛ بل كل واحد معترف على نفسه بالنقص، فهو لذلك يخاف العقاب ويرجو النجاة»[٢].

وبهذا نكون قد أتممنا عرض شبه منكري الشفاعة لأهل الكبائر النقلية منها والعقلية، مع الرد عليها، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر تفسير القرطبي ١٠/ ٣١٠، شرح النووي ٣/ ٣٦.
(٢) تفسير القرطبي ١/ ٣٨٠.

المبحث الثاني

القبوريون ونحوهم

أولاً: مذهبهم في الشفاعة:

إذا كان هناك من أنكر الشفاعة الثابتة في الكتاب والسنة وخصوصاً الشفاعة في أهل الكبائر، كما تقدم لنا في المبحث السابق؛ فقد وُجد من أثبت الشفاعة ولكن على غير الوجه الشرعي.

وغالب من يسلك هذا المنهج من يعرفون بالقبوريين، وهم الذين يتعلقون بالقبور وبأصحابها الأموات ويعظمونهم.

وكذا نحوهم من المبتدعة[١]، موافقين في ذلك المشركين والنصارى، الذين نفى الله تعالى شفاعتهم في القرآن الكريم وأبطلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عند بيان افتراق الناس في مسألة الشفاعة:

«وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق: طرفان ووسط، فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب، كالنصارى، ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن..»[٢] إلخ.

وقد أخبرنا الله تعالى عن المشركين الذين زعموا أن أصنامهم وتماثيلهم تشفع عند الله بقوله تعالى ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾[٣] وقوله تعالى ﴿**هَٰؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾[٤].

---

(١) انظر مثلاً كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ ليوسف النبهاني.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢/٨٢١.
(٣) سورة الزمر (٣).
(٤) سورة يونس (١٨).

ولقد تقدم لنا أن الشفاعة الثابتة في الآخرة لابد لها من شروط، وعلى رأسها إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المشفوع له، وأن الله تعالى لا يرضى إلا عن المؤمنين الموحدين، فالأمر كله لله تبارك وتعالى، إلا أن القبوريين وأشباههم قد خالفوا ذلك، فأثبتوا الشفاعة لأوليائهم الأموات، وطلبوها منهم في الحياة الدنيا، كما طلبها المشركون من أصنامهم، والنصارى من رهبانهم.

ثانياً: شبهتهم والرد عليها:

شبهتهم:

لقد اعتقد هؤلاء أن أولياءهم أو أصنامهم ونحوها ستشفع لهم عند الله حتماً إذا استشفعوا بها، وقاسوا هذا على الشفاعات الدنيوية المعروفة بين الناس، وذلك من حيث لزوم الشفاعة وتحقق وقوعها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً ذلك: «المشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من الملائكة والأنبياء والصالحين، ويصورون تماثيلهم، فيستشفعون بها ويقولون: هؤلاء خواص الله، فنحن نتوسل إلى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفعوا لنا، كما يُتوسل إلى الملوك بخواصهم، لكونهم أقرب إلى الملوك من غيرهم، فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره، فيحتاج إلى إجابة شفاعته رغبة ورهبة»(١).

---

(١) مجموع الفتاوى ١ / ١٥٠، وانظر تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ص٢٣٥ فما بعدها.

وقال العلامة ابن القيم مصوراً كيفية حصول الشفاعة في نظر هؤلاء بعد عرضه زيارة الموحدين للقبور، ثم زيارة المشركين لها.

قال رحمه الله تعالى: «وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله تعالى.

قالوا: فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرّب عند الله، وتوجه بهمته إليه، وعكف بقلبه عليه؛ صار بينه وبينه اتصال، يفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان، فهو شديد التعلق به، فما يحصل لذلك من السلطان، من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به»[1].

الرد على هذه الشبهة:

يرد على هذه الشبهة من عدة وجوه كما يأتي:

الوجه الأول: أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، وقد تقدم ذكر الفروق بينهما[2] وأن أعظمها أن الشفاعة عند البشر قد تحصل بدون إذن المشفوع إليه، أو بدون رضاه عن المشفوع له لسبب من الأسباب؛ بخلاف الشفاعة عند الله تعالى فلا تحصل إلا بعد إذنه عز وجل للشافع ورضاه عن المشفوع له، فليس حصول الشفاعة

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم ١ /٢١٩.
وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٤ /٤١٣، ٤١٤، وانظر إن شئت كلام أبي حامد الغزالي في هذه المسألة على سبيل الإقرار في كتابه: المضنون به على غير أهله ص١٢١ فما بعدها، وقد أتى بالعجب العجاب.

(٢) راجع ص٨٠-٨٥.

عند الله تعالى أمر مطلق لازم، وإنما هو مقيد بشروط لا تتحقق عند هؤلاء.

الوجه الثاني: أن الله تعالى نفى الشفاعة الشركية التي يتعلق بها أولئك المشركون ومن وافقهم، وأبطل هذه الشفاعة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

فمن ذلك قول الله تعالى ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾(١) وقوله تعالى ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾(٢) وقوله ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ** ﴾(٣) وقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾(٤) وقول الله تعالى ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾(٥).

---

(١) سورة الأنعام (٥١).
(٢) سورة الزمر (٤٣، ٤٤).
(٣) سورة سبأ (٢٢، ٢٣).
(٤) سورة الأنعام (٩٤).
(٥) سورة البقرة (٢٥٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ساق هذه الايات وأمثالها: «فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين، حتى صوروا تماثيلهم وقالوا: استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم، وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا: نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفعوا لنا إلى الله، وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك، وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله، وذم المشركين عليها وكفَّرهم بها»[١].

وقال رحمه الله تعليقاً على قوله تعالى ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً** ﴾[٢] «فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين، سواءاً كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية[٣]».

وقال الإمام ابن القيم موضحاً وجه كون الشفاعة المنفية في القرآن الكريم هي الشفاعة الشركية: «الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يعرفها الناس، ويفعلها بعضهم مع بعض، ولهذا يطلق نفيها تارة، بناءً على أنها هي المعروفة المشاهدة عند الناس، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع إلا بعد إذنه، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه، فإنه هو الذي أذن، والذي قبل، والذي رضي عن المشفوع، والذي وفّقه لفعل ما يستحق به الشفاعة وقوله، فمتخذ الشفيع مشرك، لا تنفعه

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٥١.
(٢) سورة الإسراء (٥٦).
(٣) مجموع الفتاوى ١٥/٢٢٦.

شفاعته، ولا يشفع فيه، ومتخذ الرب وحده إلهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوّه ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده، ويطلب رضاه، ويتباعد من سَخَطه، هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع فيه»[١].

الوجه الثالث: أن ما زعموه من وصف حصول شفاعة معظميهم عند الله تعالى لا دليل عليه، بل هو مخالف للشرع وللعقل. وعلى أي حال فإن شفعاءهم المزعومين إما أن تكون أصناماً أو تماثيل لا نفع فيها ولا ضر، كما قال تعالى ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ**﴾[٢].

وإما أن يكون هؤلاء الشفعاء من الأموات، ولا ريب أن دعاء الأموات لم يشرع[٣]، بل المشروع الزيارة الشرعية التي تتضمن الدعاء للأموات، لا دعاؤهم.

وقد يكون هؤلاء الشفعاء من الأحياء الذين لا يقبل الله شفاعتهم ولا يأذن لهم فيها.

وإن كانوا ممن قد تُقبل شفاعته فلابد من إذن الله تعالى لهم في الشفاعة، كما لابد من رضاه تعالى عن المشفوع لهم أيضاً، والله تعالى أعلم.

---

(١) إغاثة اللهفان ١ / ٢٢٢.
(٢) سورة الفرقان (٥٥).
(٣) راجع ص١٠١

الخاتمة

لعل من المفيد في خاتمة هذا الموضوع أن أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال ما تقدم بحثه، وذلك في النقاط الموجزة الآتية:

١- أصل لفظة (الشفاعة) يدل على ضم الشيئين ومقارنتهما، وأن الشفاعة مشتقة من الشفع الذي هو ضد الوتر.

٢- التعريف الجامع للشفاعة هو: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرّة.

٣- الشفاعة في أمور الدنيا على نوعين: مستحب محمود ومحرم مذموم.

٤- ثبوت الشفاعة بأنواعها يوم القيامة لدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف الصالح من أهل السنة والجماعة.

٥- أن الشفاعة يوم القيامة تتنوع من حيث الشفعاء، ومن حيث نوع الشفاعة.

٦- للرسول ﷺ عدة أنواع من الشفاعة يوم القيامة، منها ما يختص به كالشفاعة العظمى والشفاعة في استفتاح باب الجنة لأهلها، ومنها ما يكون عاماً له ولغيره، كالشفاعة في أهل الكبائر.

٧- أن الله تعالى يأذن بالشفاعة يوم القيامة لغير النبي ﷺ من الشفعاء كالملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، والشهداء، وأولاد المؤمنين، وكذلك فالصيام والقرآن يشفعان أيضاً يوم القيامة.

٨- لا تحصل الشفاعة يوم القيامة إلا بعد تحقق ثلاثة شروط وهي إذن الله تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه تعالى عن المشفوع له، وأن الله تعالى لا يرضى إلا عن أهل التوحيد.

٩- أن الشفاعة عند الله تعالى ليست كالشفاعة عند البشر من عدة وجوه.

١٠- هناك أسباب رغّب فيها الشارع توصل صاحبها بإذن الله تعالى إلى نيل الشفاعة، ومنها: التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، وقراءة القرآن، والصيام، والدعاء بما ورد عند الأذان، وسكنى المدينة النبوية، والصبر على لأوائها، والموت بها، والصلاة على النبي ﷺ، وصلاة جماعة من المسلمين على الميت المسلم، وكثرة السجود.

١١- أن زيارة قبر الرسول ﷺ وإن كانت مشروعة بدون شد رحل، لكنها ليست من أسباب الشفاعة، وأما ما نُسب إلى الرسول ﷺ من ذلك في بعض الأحاديث فقد أبان المحققون من العلماء أنه لا يثبت منها شئ.

١٢- أن طلب الشفاعة من الرسول ﷺ حال حياته جائز وواقع، سواء كان طلب الشفاعة في الأمور الدنيوية، أو طلب الشفاعة الأخروية، وكذا فإن الناس يطلبون الشفاعة من الرسول ﷺ يوم القيامة.

١٣- أن طلب الشفاعة من النبي ﷺ بعد موته لا يجوز، وكذا غيره

من الأنبياء والصالحين بعد موتهم، لا عند قبورهم ولا بعيداً عنها، وكذا الملائكة، لتعذر إجابتهم.

١٤- أن الخوارج والمعتزلة قد أنكروا الشفاعة لأهل الكبائر، ولهم في ذلك عدة شبه نقلية وعقلية، وقد ناقشتها ورددت عليها بالتفصيل.

١٥- أن القبوريين ونحوهم ممن يعظم الأموات قد أثبتوا الشفاعة لأوليائهم الأموات، وأنهم طلبوها منهم في الدنيا، كما طلبها المشركون من أصنامهم، والنصارى من رهبانهم، وأنهم قاسوا ذلك على الشفاعات الدنيوية المعروفة بين الناس، وذلك من حيث لزوم الشفاعة وتحقق وقوعها، وقد ناقشتهم ورددت عليهم.

وأخيراً لعله اتضح لنا جلياً من خلال عرض مذهب أهل السنة والجماعة في موضوع الشفاعة ومذاهب المخالفين أن أهل السنة أسعد بالدليل وأحرص على الحق من غيرهم، وأنهم وسط بين المخالفين ، فنسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرتهم إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.



الفهارس

وتتضمن الفهارس الآتية:

١- فهرس الآيات.

٢- فهرس الأحاديث.

٣- فهرس المصادر والمراجع.

٤- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أخبار الآحاد في الحديث النبوي - الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين- دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣- الأذكار النووية -الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- مطبعة الملاح بدمشق ١٣٩١هـ. تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط.

٤- آراء الخوارج -د. عمار الطالبي- الناشر: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر بالأسكندرية.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة -الحافظ أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر- الناشر: دار الكتاب العربي في بيروت.

٦- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد -الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي- منشورات دار الآفاق الجديدة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، تقديم أحمد عصام الكاتب.

٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان -شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم- دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت) تحقيق محمد حامد الفقي.

٨- أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة -أحمد بن يحيى النجمي- طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٩- الإيمان -شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الشهير بابن تيمية- المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

١٠- البعث والنشور -الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي- مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول.

١١- تاريخ بغداد -أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي- الناشر: دار الكتاب العربي.

١٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة -أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف -الإمام عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري- دار الإيمان بدمشق، الطبعة الثالثة ١٣٨٨، تعليق مصطفى محمد عمارة.

١٤- تفسير ابن كثير -الإمام أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٠هـ.

١٥- تفسير البغوي المسمى (معالم التنزيل) -الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي- دار المعرفة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تحقيق خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار.

١٦- التوحيد الذي هو حق الله على العبيد -شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب- مطابع الرياض. طبع ضمن مؤلفات الشيخ (القسم الأول) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٧- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل -الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة- دار الرشد للنشر والتوزيع بالرياض- الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، دراسة وتحقيق د. عبدالعزيز الشهوان.

١٨- التوسل. أنواعه وأحكامه -محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

١٩- تهذيب التهذيب -الحافظ بن حجر العسقلاني- مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ.

٢٠- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد -الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب- نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٢١- الجامع لأحكام القرآن -أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- دار إحياء التراث العربي في بيروت ١٩٦٧م.

٢٢- جامع البيان عن تأويل أي القرآن -الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

٢٣- جامع الرسائل -شيخ الإسلام ابن تيمية- الناشر: دار المدني بجدة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

٢٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير -جلال الدين السيوطي- دار الفكر في بيروت، الطبعة الرابعة.

٢٥- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح -العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب شمس الدين أبو عبدالله بن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية في بيروت.

٢٦- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء -الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني- الناشر: دار الكتاب العربي في بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

٢٧- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة -الإمام أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي- دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ، تحقيق د.عبدالمعطي قلعجي.

٢٨- الدين الخالص -محمدصديق حسن- مكتبة الفرقان، تحقيق محمد زهري النجار.

٢٩- الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية -شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية- طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء سنة ١٤٠٤هـ، تحقيق العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

٣٠- الرسالة -الإمام محمد بن إدريس الشافعي- تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

٣١- رسالة أصول أهل السنة والجماعة المسماة (رسالة إلى أهل الثغر) -أبو الحسن الأشعري- دار اللواء بالرياض، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ، تحقيق د.محمد السيد الجليند.

٣٢- سنن ابن ماجه -الحافظ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني -دار إِحياء التراث العربي ١٣٩٥هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣- سنن الترمذي (الجامع الصحيح) -أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة -دار إِحياء التراث العربي في بيروت، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر.

٣٤- السنة -الحافظ أبو بكر عمر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني -المكتب الإسلامي- في بيروت- دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

٣٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم -الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، تحقيق د.أحمد سعد حمدان.

٣٦- شرح الأصول الخمسة -القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني- الناشر: مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ، تحقيق الدكتور عبدالكريم عثمان.

٣٧- شرح العقيدة الطحاوية -القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي- مؤسسة الرسالة في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط.

٣٨- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد -موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة- مؤسسة الرسالة بسوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، بقلم الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٣٩- شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني في العقيدة -مكتبة دار المطبوعات الحديثة بجدة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - إعداد الأمين الحاج محمد أحمد.

٤٠- شرح النووي لصحيح مسلم -الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي- المطبعة المصرية ومكتبتها.

٤١- الشريعة -الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري- مطابع الأشراف في لاهور بالباكستان، الطبعة الأولى. تحقيق محمد حامد الفقي.

٤٢- الشفا بتعريف حقوق المصطفى -القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي- دار الفكر في بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٣- الشفاعة -أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي- مطبعة المدني بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٤٤- شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ -يوسف بن إسماعيل النبهاني- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع طبعة ١٤٠٣هـ بيروت.

٤٥- الصارم المنكي في الرد على السبكي- الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي- طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ١٤٠٣هـ، تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

٤٦- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) -إسماعيل بن حماد الجوهري- دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار.

٤٧- صحيح بن حبان (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) -دار الكتب العلمية في بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، ترتيب الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي، تقديم كمال يوسف الحوت.

٤٨- صحيح البخاري -الإمام أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري- المكتبة الإسلامية باستنبول ١٩٨١م.

٤٩- صحيح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري -المكتب الإسلامي في بيروت ١٤٠٦هـ، اختيار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

٥٠- صحيح مسلم -الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٣هـ. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

٥١- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم -الشيخ عبدالرحمن بن محمد الدوسري- نشر وتوزيع مكتبة دار الأرقم بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

٥٢- عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة عبدالله بن عبدالكريم الرازي- دار الفرقان، جمع محمود بن محمد الحداد.

٥٣- عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة -أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني- دار العاصمة للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دراسة وتحقيق ناصر بن عبدالرحمن الجديع.

٥٤- العقيدة في الله -الدكتور عمر سليمان الأشقر- مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.

٥٥- عقيدة المؤمن -أبو بكر جابر الجزائري- مطبعة الحلبي- الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

٥٦- العقيدة الواسطية -شيخ الإسلام ابن تيمية- مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ.

٥٧- غاية الأماني في الرد على النبهاني -العلامة محمود شكري الألوسي- مطابع نجد التجارية بالرياض.

٥٨- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري -الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.

٥٩- فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير -الإمام محمد بن علي الشوكاني- الناشر: دار المعرفة للطباع والنشر في بيروت.

٦٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل -الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري- دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

٦١- القاموس المحيط -أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز ابادي- دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ. ترتيب الطاهر أحمد الزاوي.

٦٢- القيامة الكبرى -الدكتور عمر سليمان الأشقر- مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٦٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل -أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- دار المعرفة في بيروت.

٦٤- لسان العرب -العلامة أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور- دار صادر في بيروت.

٦٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية -العلامة محمد بن أحمد السفاريني- منشورات مؤسسة الخافقين ومكتبتها بدمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٦٦- متشابه القرآن -القاضي عبدالجبار بن أحمد الهمذاني- الناشر دار التراث بالقاهرة، تحقيق د.عدنان محمد زرزور.

٦٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد -الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي- منشورات دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

٦٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية -تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد قاسم العاصمي وابنه محمد.

٦٩- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم -اختصار الشيخ محمد بن الموصلي- توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٧٠- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين -الإمام ابن القيم- الناشر: دار الكتاب العربي سنة ١٩٧٢م، تحقيق محمد الفقي.

٧١- مسائل الإيمان لأبي يعلي: دراسةً وتحقيقاً -تحقيق وتعليق سعود بن عبدالعزيز الخلف- الناشر دار العاصمة بالرياض.

٧٢- المستدرك على الصحيحين -الإمام أبوعبدالله الحاكم النيسابوري- الناشر: دار الكتاب العربي في بيروت.

٧٣- مسند أبي عوانة -الإمام أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني -دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت.

٧٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل -المكتب الإسلامي للطباعة والنشر في بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

٧٥- مسند الطيالسي -الحافظ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود- دار المعرفة.

٧٦- مشكاة المصابيح -محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي- المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

٧٧- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه -أحمد بن أبي بكر البوصيري- مطبعة حسان بالقاهرة، تحقيق وتعليق موسى محمد علي والدكتور عزت علي عطية.

٧٨- المضنون به على غير أهله -أبو حامد محمد بن محمد الغزالي- منشورات دار الحكمة للطباعة والنشر بدمشق ١٤٠٧هـ، ضبطه وقدم له رياض مصطفى.

٧٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد -الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي- الناشر: جماعة إحياء التراث.

٨٠- المعتزلة -زهدي حسَن جار الله- مطبعة مصر بالقاهرة ١٣٦٦هـ.

٨١- معجم البلدان -ياقوت بن عبدالله الحموي- دار صادر في بيروت ١٣٩٩هـ.

٨٢- معجم الطبراني الأوسط -الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني- مطبعة الوطن العربي في بغداد، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.

٨٣- معجم الطبراني الكبير -الحافظ أبو القاسم الطبراني- مطبعة الوطن العربي في بغداد، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.

٨٤- معجم مقاييس اللغة -أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ. تحقيق عبدالسلام محمد هارون.

٨٥- المفردات في غريب القرآن -أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني -دار المعرفة في بيروت، تحقيق محمد سيد كيلاني.

٨٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين -أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري- طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ.

٨٧- الموجز -أبو عمار عبدالكافي الإباضي- دار الجيل في بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة.

٨٨- ميزان الاعتدال في نقد الرجال -الإمام أبوعبدالله شمس الدين الذهبي- دار المعرفة للطباعة والنشر، تحقيق على محمد البجاوي.

٨٩- النهاية في غريب الحديث والأثر -الإمام مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير- دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي.

٩٠- النهاية في الفتن والملاحم -الإمام أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب عمر بن كثير- الناشر: دار التراث الإسلامي بالقاهرة، تحقيق محمد أحمد عبدالعزيز.

فهرس الموضوعات